المدور

الاشتراكية في الإسلام

335
M94iA

335:M94iA

المدور — طه

الاشتراكية في الاسلام.

FEB 25 A1481

335
M94iA

DE 17 58
DE 20
JA 8
JA 12
JA 12
MAR 14'59

25 Sep 63

يصدر قريباً

لمؤلف هذا الكتاب

أثره الجديد

التحفة التاريخية الثمينة

فضل العرب والاسلام

على عصور الجهالة والتوحش فى اوربا

٢٥٠ صفحة — ٢٠ وثيقة تاريخية

بتعامله على الاسلام بشتى تآليفه ونشراته المباديء الاشتراكية التي نادى بها الدين الاسلامي رغماً عن عداوته هذه ، واعترف باديء ذي بدء بسمو هذه المباديء حيث قال :

(ان التعاليم الاشتراكية في الاساس هي من وضع الاسلام . وانها لتعد وايم الحق الناحية الحساسة جداً في صميم قواعد الدين الاسلامي . ولها وجهات تنطوي على نبالة في القصد لأزالة ضغط الحاجة الملحة عن الفريق الرقيق الحال في مجتمعنا البشري . ويخال اليّ كلما توغلت في دراسة الأهداف الشريفة التي نص عليها قرآن المسلمين فيما يتعلق بالحياة الاشتراكية انني ارى دموع محمد تنسكب على محياه الصوفي كلما ورد اسم الفقير على لسانه او تحدث اليه متحدث عن فواجع الفقر وآفاته ...)

فهذه الشهادة من فم عالم دأبه التحامل على الدين الاسلامي كـ (دوزي) الراهب المشهور جديرة بأن تكتب بماء الذهب وتعد ركناً من اركان الاستنباط التاريخي والعلمي لأصل الاشتراكية ومنبتها . وقد استغل يهود الاندلس هذه الشواعر النبيلة التي يتحلى بها المسلمون والتي تلقي على احد نواحي التعاليم الاسلامية الطاهرة قبساً من نور استغلالا سافلا حيث اهتدوا ورائدهم شيطان الطمع الى اسس الاحتكار . اذ راحوا يطوفون على البيوت وينادون (يللي عنده عتيق للبيع) ويشترون الحسنات التي يغدقها اغنياء المسلمين على فقرائهم بمال بخس ويحتكرونها لأجل ان يبيعوها عندما يحس اولئك الفقراء بحاجة ماسة اليها بأضعاف الثمن الذي ابتاعوها به . واذ كانت خيرات مسلمي الأندلس كثيرة عميمة لم يقم من بينهم من يناهض تجارة السوء هذه ، ولم يحسبوا الاضرارها اي حساب ، الى ان رحل المسلمون عن هذه الديار وحل مكانهم الاسبانيون .

وقد واصل اليهود العمل بمباديء الاحتكار حسبما درجوا على ذلك في العهد الاسلامي واتسعت خطواتهم في هذا السبيل الساقل حتى ضاق بهم الاسبانيون ذرعاً ، فانهالوا عليهم في يوم كان شره مستطيراً بالتقتيل والتشريد كما هو معلوم وابعدوا الذين سلم منهم عن البلاد ...

وعلى اثر هذه البوادر الاجتماعية السامية الاهداف التي انبثقت طلائعها في محيط الاندلس اخذت بعض العناصر الاوربية تتجه الى فكرة تبني المبداء الاشتراكي النبيل الذي ابتدعه الاسلام . ولنسمع هنا الى مايقوله العالم والفيلسوف الالماني (كنت KEINT) عن تاريخ الاشتراكية وعلاقتها الاولية والرئيسية في الاسلام . وما اسبغت على البشرية من خير عميم يساوي بين الغني والفقير ، اقتطفت منه بعد ذلك اوربا الحائرة التي كان يسودها الفقر والجهل والظلم اينع الثمرات . قال :

(اخذت مباديء الـ (SENSUALISMES) اي التنكرية او العقوقية تضمحل في بعض ارجاء اوربا بعد ظهور المدنية العربية الاسلامية فى الاندلس التي سطع اشراقها من وراء جبال (البيره نه) الى اواسط فرنسا . فتناول طلاب التجدد التعاليم الاجتماعية البارعة التي انبثقت عن الحضارة العربية العظيمة واخذوا في تبنيها فايقظت فيهم رويداً رويداً شعور مكافحة التنكر والغرور واستبدالها بطلب التجدد وظلت هذه الميول تختمر في الرؤوس حتى ظهرت بوادر الثورة الافرنسية الثانية واعقبتها الثالثة .. وما هلت طلائع القرن التاسع عشر حتى تسربت تعاليم الروح الاشتراكية الى المجتمع الاوربي وكان ذلك اول تقليد شريف للعرب والاسلام تجلببت به اوربا لتخطو خطوتها الكبرى في سبيل تنظيم حياة شعوبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .)

هذا ما قاله الفيلسوف (كنت) عن تاريخ الاشتراكية التي وضع الاسلام اركانها الشريفة ، تلك الاركان التي تبعث الخير والرخاء والمساواة بين مختلف طبقات البشر في لين وحنان على ان يبقى ما لقيصر لقيصر . وكم هي تبعد عن الاشتراكية المتطرفة التي ابتدعها (ماركس) ومن قبله (اساتذته اليهود) وما فيها من تهور واباحية وشيوعية رشدة على ارباب رؤوس الاموال ، وتجعل العالم العربي خاصة والاسلامي عامة ينابذانها ويكافحانها بكل قوة اعتقاداً منهما بأن هذا المذهب الألحادي يتأرجح بين الاباحية والكفر والحد من الحرية الشخصية والمادية حتى والسياسية ، وكل هذه الآفات هي شر ما يتنفر منها العرب

والاسلام ويتنكران له .

وعليه فان هذا الكتاب قد فرض على نفسه ان يلمّ بجميع مايتعلق بالمباديء الاشتراكية بين مفرطة ومعتدلة ليثبت اولا ان الاشتراكية في الاصل هي مبدأ انساني وضعه الاسلام وحض على حمايته ورعايته داخل نطاق الدستور الذي يطالع القراء قواعده الرئيسية الشريفة في هذه المقدمة . كما اننا سنثبت من جهة اخرى ان الاشتراكية المتطرفة اي الشيوعية ليست الا عبارة عن مذهب الحادي فوضوي كان يعرف عند الروس قبل ظهور (لينين) وانصاره بالمذهب (النهليستي NEHILISME) وهو يرمي الى سحق السلطات الحاكمة وابادة الثروات الفردية لتذوب في بوتقة الجماعات ولا سيما العاطلين عن العمل منهم والذين يتأكلهم الكسل والجوع . وغرض هؤلاء من ذلك لا يختلف عن اغراض الاحزاب (الفوضوية – ANARCHISME) و (الكاربونارية – CHARBONARISME) وكلها تستهدف استئصال شأفة الأبوقراطية والدموقراطية حتى واليورجوازية من العالم واقامة حكومات مائعة لا لون لها ويلقبها هؤلاء بال (MONISME) اي الفردية ، كما يسميها آخرون بال (GRITICISME) وتفيد معنى التنكر او السلبية في كل شيء . وكل هذا لا يختلف عن مبداء (الاستثارة – IRRITABILICISME) والوصول بالشعوب الى الانغماس بروح الفوضى والالحاد .

(اما الاشتراكية المتصوفة) التي يعنيها كتابنا فسيكون لها النصيب الاكبر من محتوياته حيث تبدو محاسن هذا الطابع الانساني الذي يلازم العقيدة الدينية فيرتقي المتطبع بها الى تقديس شواعر الرحمة والترفيه عن المعوز والعامل المكد والبائس المثقل ، وكتهوين سبل العيش لمن ورطته الحاجة في غمائزها المرهقة .

واجمل من هذا سوف تطالعنا الآيات الكريمة والاحاديث النبوية واقوال علماء الاسلام وفلاسفته ماللمبدأ الاشتراكي الصوفي من تأثير في تهذيب النفوس وردعها عن غاشية البذخ والاسراف فيما لا ينفع الناس . وحسبنا من كل هذا ان نكون قد كشفنا الغطاء عن الصالح والطالح في عالم المباديء الاشتراكية

بدون ادني تحيز لجانب منها او التعامل على الجانب الاخر ، بل سوف تظل ابحاثنا منحصرة ضمن نطاق علمي لا تتعداه مطلقاً والله الهادي ببركة رسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم الى سواء السبيل .

طه الدوري

الفصل الاول

معنى الاشتراكية واهدافها وغاياتها

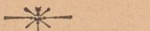

الباب الاول

التعليل الفلسفي للاشتراكية والنظريات المتعلقة بذلك

ان تعريف الاشتراكية حسب الاصطلاحات العصرية ، هو اصلاح حالة الجماعات البشرية الدنيوية وازالة البواعث التي تجعل بين مختلف طبقاتها فوارق مادية مهما كان نوعها ، وفي اي مكان نشأت وتحكمت . فهي تتنكر للعوامل المؤدية الى تقسيم الرفاه والرخاء بين الناس على درجات متفاوتة . فترى هذا المبداء اي الاشتراكي يندفع بكل قوته لمكافحة ذلك التباين وازالته حتى لاتنتظم الحياة الاجتماعية نهائياً وسرمدياً على الوانها الثلاثة المعروفة بالثراء والكفاف والفقر ، بل يريدها ان تكون ذات لون واحد . فلا ثمة ارهاق لطبقة العمال يقوم بجانبه ترفه ونعيم للمومرين واصحاب رؤوس الاموال . وانما يجب اقامة تعاون سلمي بين الجانبين يعقبه الرفاه وتوزيع الثروات بين الجميع بنسب تحفظ للحياة العامة ومرافقها الضرورية توازناً لا افراط فيه ولا تفريط .

هذا هو اصل معنى الاشتراكية حسب تعريف علماء الاجتماع في العالم الاوربي ولكن هنالك تعريفاً او مبدءاً آخر وضعه الأسلام للمشاركة والمعاونة اللتين يجب ان تقوما بين مختلف طبقات البشر . وترتكز هاتان البادرتان سواء من الناحية المادية او المعنوية على اسس فرضها الدين الاسلامي على الجماعات والافراد فرضاً

لامفر من تأديته حتى تزال دوافع الاحتياج والشح من بين الطبقات الرقيقة الحال وحتى لا تتضخم ثروات اصحاب رؤوس الاموال الى حد يجعلها محصورة في ايديهم دون غيرهم . وهكذا ينعم العامل الفقير بمقتضى هذا التشريع الديني العادل بمورد يصل اليه عن طريق الفريضة المنوه بها (والتي سوف نتكلم عنها بأسهاب) يضيفه الى كسبه الذي ناله بعرق جبينه . وبذلك تزول الفوارق العظيمة بين تلك الطبقات المختلفة المورد والثروة ، وينتظم التوازن بين الافراد والجماعات بقدر الامكان على وجه يضمن بعض مقومات التساوي المادي وازالة عوامل الشره والحقد بين الطبقات العاملة الفقيرة ضد الموسرين .

فعلى هذه المبادىء الانسانية السليمة بعثت الاشتراكية باوربا في النصف الاول من القرن التاسع عشر (١٨٤٠) وقد استمدت مبادئها من القواعد العادلة التي وضعها الاسلام كما يقول ويثبت ذلك المستشرق البلجيكي الراهب (دوزي DUZIS) والفيلسوف الالماني (كنت KEINT) (١) واخذ العاملون على مناصرة هذا المبداء ينشرون تعاليمهم الآنفة الذكر بين مختلف طبقات العمال وأسسوا اول حزب اشتراكي في ايطاليا اطلقوا عليه اسم (الاشتراكية IL SOCIALISME) اهم ما يحتوي عليه دستوره البنود الاربعة التالية :

اولا – ترفيه احوال العمال بتأمين الاجور الكافية لهم لتدفع عنهم وعن عوائلهم ضيق العيش والعوز ومن ثم بتحديد ساعات العمل المنوط بهم .

ثانياً – تكوين حيز اجتماعي للعمال يحفظ لهم جميع حقوقهم المدنية والسياسية .

ثالثاً – حمل الحكومة واصحاب رؤوس الاموال على الاعتراف بهذه الحقوق بالطرق الايجابية . وعند الضرورة بالطرق السلبية ، التي نشأ عنها فيما بعد مبدأ الحزبية والاحزاب ،

رابعاً – منح العمال اثنين ونصف بالمائة سنوياً من ارباح اصحاب العمل او المعامل علاوة على اجورهم ليكون لهم اي للعمال حق الملكية لجزء معين من رؤوس الاموال والاستفادة من دخلها باطراد دائم ولكن

---

(١) – راجع ذلك مع اقوال كل من العالمين المذكورين في مقدمة هذا الكتاب

ولكن صدف ان اندس بين زعماء هذا الحزب اناس لايقولون بمبدأ الاعتدال القائم في عقيدة مؤسسيه حسبما وردت في مواد قانونه الاساسي . فراحوا يطوحون ببعض زعماء الحزب البارزين ويحملونهم على جعل هذا الدستور المعتدل مقدمة ارهاق للثروات العامة ولرؤوس الأموال وتبديدها في مختلف الوجهات التي تنم عن نزعات شيوعية فوضوية .

وكان اول هؤلاء المندسين والمحرضين المدعو (كارل ماركس) الاشتراكي الالماني المشهور الذي كان يصدر آنئذ في باريز اي عام ١٨٤٥ جريدة فورفريتس (FORFIRTESSE) الاشتراكية . وقد ظهر من المباديء المتطرفة التي كان يبثها سواء في جريدته هذه او في صفوف العمال ما حمل الحكومة الفرنسية على تعطيل هذه الجريدة وطرد (كارل) من فرنسا .

ولكن هذا المناضل القوي العقيدة والمثقف الممتاز الذي يحمل أعلى الشهادات في الحقوق والاقتصاد السياسي لم تفتر له عزيمة فرحل الى بروكسل (١) عام ١٨٤٥ والتقى هناك بالاشتراكي البلجيكي (فردريك انجلس) واخذا في نشر المباديء الاشتراكية المفرطة واسسا حزباً سرياً يدعو الى هذه المباديء . ثم عمدا الى اصدار بيان جهنمي عام ١٨٤٨ جعلا عنوانه :

« المنشور الشيوعي »

فاصبح من ثم هذا المنشور دستوراً خالداً « لكارل ماركس وفردريك انجلس » في الشيوعية . ومن هناك اخذت حكومات اوربا كالمانيا وانكلتره وبلجيكا وفرنسا تطارد هذين المكافحين . فظل الاول يناضل لوحده في سبيل نشر مبادىء الاشتراكية الثورويه الى عام ١٨٨٣ حيث توفي بمرض الربو . وعرف بعد ذلك بأسم المؤسس الاكبر للتعاليم الفلسفية الاشتراكية ومابرحت

« ١ » نقلاً عن كتاب الاشتراكية للشمالي المتضمن ترجمة حياة هذا الشيوعي الاول .

نظرياته الشيوعية الثوريه المتكأ الرئيسي للقائلين بالمبادىء البلشفيكية في العالم وخاصة في روسيا . اما « انجلس » فقداقعدته الامراض ولم يعديستطيع مواصلة الكفاح كزميله « كارل » .

وتنحصر النظريات المتطرفة اوالثورية التي ابتدعها كارل في الوجهات التالية :

١ – لاتتحقق المبادىء الاشتراكية بالطرق السلمية ، فلا بد من اعلان الثورة على المجتمع البورجوازي والرأسمالي في العالم وتهديمها .

٢ تدريب طبقة العمال على الحياة النقابية الثوروية المسلحة .

٣ تقويض دعائم النظام الرأسمالي .

٤ – مكافحة الأديان لأنها مخدرة لأعصاب الشعوب . واستئصال شأفة رجال الدين لأنهم جرثومة داء التخدير «٢»

٥ – يجب ان تفك كل علاقـــة بين الثورة الاشتراكية والميول الملكيّة

«٢» وهاك مايقوله الماركسيون في تحاملهم على بعض النظريات الانجيليـــة تأييداً لمذهبهم الالحادي نقلاً عن كتاب الاشتراكية نفسه ص ٥٩ :

« هل يحتاج المرء الى تعمق كبير ليدرك ان نظريات الناس ومعتقداتهم تتغير بتغير الظروف والعلاقات الاجتماعية والمعيشية ؟ ان كل الآراء والافكار التي كانت تسود الناس في اي عهد مضى او حل ليست سوي افكار وآراء الطبقـة السائدة . وفي حال زوال هـــذه الطبقـة تزول معهم الآراء والمعتقدات التي وضعوها . فالثورة الاشتراكية التي تقطع من الاساس كل رابطة مع نظام الملكية القديم لا عجب اذا عملت ايضاً على قطع كل رابطة مع الافكار والآراء المتوارثة « ويعني بها الدينية » وابداع نظريات جديدة تقوم مقامها . فتطبيقاً لهذه الآراء المتطرفة استولت الحكومة الشيوعيـــة في روسيا على كل الاديرة والكنائس الموجودة فيها وحولتها الى مستشفيات ومعاهد علمية وملاجيء للفقراء والعجز . واخذت تمنع تدريس الدين في جميع المدارس وتضطهد رجال الدين وتطاردهم بتهمة التآمر ضد سلامة الدولة » .

والملكيّة والأفكار والآراء القديمة المتوارثة كالدين وكالاعتداد بالعصبية الدموية وحب الأمارة والسيادة .

٦ الغاء الوراثة لأنها متممة لالغاء الملكية الخاصة .

٧ ـ لامعنى للاحسان والتصدق لأنهما مثبطان لمباديء الثورة الاشتراكية ضد الفاقة وضد الرأسمالية .

٨ ـ ان الاشتراكية الانجيلية القائلة بالمحبـــة والاحسان والتبتل والتقشف وقتل الجسد والرهبنة ليست سوى الماء المقدس الذي يسكبه الكاهن على شعلة الغطرسة المتأججة بين جوانح الارستوقراطية ليزيدها تفاقماً ..

٩ ـ يجب مكافحة روح الاستعمار ونشر لواء التحرر بين جميع طبقات البشر .

هـذه اهم مباديء « كارل ماركس » المفرطة التي انبثقت عنها الاشتراكية الاممية الثالثة والتي يلقبونها «بالكومنترن» المستخلصة من كلمتي : « COMMUNISTE » « INTERNATIONALE » وهي الشيوعية الحادة . وانت ترى اذا تعمقت بدراستها انها ترمي الى حصر السلطات المادية والمدنية بطبقات العمال ، وهذه النزعة عبارة عن ديكتاتورية جديدة يقر الماركسيون بها ويعترفون بصحتها ويسمونها بالبروليتاريا « BROLITARIA » اي الوطنية الاشتراكية التي تعطي معنى مطاردة البورجوازية والقيام مكانها لتمثيل السلطات السياسية والادارية وازالة مبدأ استثمار الانسان للانسان او الامة لأمة اخرى او الطبقات بعضها لبعض . ويعتقد هؤلاء ان هذه البروليتاريا او الدكتاتورية تزيل العداء والحقد من بين الامم ..

وهكذا انت ترى ان الاشتراكية في اوربا بعد ظهور المباديء الماركسية بدأت تتخذ اشكالا متعددة ولكنها على الاجمال انحصرت بمبدأين فقط وهما :

١ ـ المبدأ الاصلاحي

٢ ـ المبدأ الثوروي

الباب الثاني

الشيوعي قرمط وتعليقات لا بد منها

على المبادىء القرمطية

كما ان المبادىء الاشتراكية المعتدلة الرامية الى خير البشر بكل ما هنالك من المعاني الانسانية الشريفة هي من جملة التعاليم الاسلامية الطاهرة البريئة التي تبناها الاوربيون فيما بعد كما بينا ذلك في الباب السابق كذلك نعرف بان المبادىء المركسية المفرطة قد انبثقت عن المذهب « القرمطي » الالحادي الذي نشره في جهات النجف وكربلاء عام ٨٨٧ ميلادية المدعو « عبد الله بن ميمون » والذي تلقاه المسلمون والعرب بمزيد النفرة وكلف في النتيجة خليفة عبدالله المذكور ويدعى « قرمط » ان قضم المهدي عنقه واراح الناس من شروره ...

وقد كان « قرمط » المذكور يروج للاراء السقيمة السافلة التالية «١» الالحاد والزندقة «٢» الاباحية «٣» تحليل تقاسم اموال الاغنياء وتوزيعها على الفقراء ليكتسب ميولهم وليتمكن من جلبهم الى عقيدته «٤» التنكر للسلطات الزمنية وبث روح العقوق تجاه الخلفاء تمهيداً لمآرب سياسية كان يرمي الى الحصول عليها «٥» منابذته لتعاليم الدين الاسلامي واقامة تعاليم رمزية انتقل الكثير منها الى الماسونية «١» .

---

(١) من تعليقات العالم *TEMPLIER* (تانبلير) على المذهب القرمطي .

اذن نستطيع ان نقول بان « كارل ماركس » لم يتحف العالم الاوربي بشيء جديد . فتعاليمه الشيوعية المفرطة سبقه اليها قبل ١٠٠٠ سنة تقريباً نفر شب على الشعوذة والضلال في ركن ضيق من اركان الشرق وانتهى به الامر الى ان طورد ثم قتل شر قتلة .

فاذا بدأنا بتعليقاتنا في هـــذا الباب على التعاليم الاشتراكية الماركسية ، فسوف لا تكون لنا الا غاية واحدة من وراء ذلك وهي تفنيـد معظم نظريات « كارل » من الوجهة العلمية . لأننا نتوخى من وضع هـــذا الكتاب تشريح وتحليل كل النظريات الاشتراكية بين معتدلة ومفرطة والوقوف في النتيجة عند « الاشتراكية المتصوقة » التي تناصرها التعاليم الاسلامية لنتوغل في وصف اهدافها ومراميها النبيلة ولتبرز عندما يطلع عليها كل مدقق منصف وأريب فاضل جميع محسناتها وملابساتها الشريفة الغاية وهي عارية من كل غموض ، وكيف انها تفضل كل المذاهب الاشتراكية الاخرى وعليه نقول :

ان المذاهب الاشتراكية المصطلح عليها اليوم بين مختلف الشعوب في هـذه الكرة الفسيحة تنقسم الى الفرق التالية :

١ـ الاشتراكية المسيحية
٢ـ « الراديكالية
٣ـ « الدموقراطية
٤ـ « النقابية

وتسمى هذه المذاهب الاربعة « الاشتراكية الدولية الثانية » اي التي اقرتها مؤتمرات باريز وبروكسل ولنـدره الاشتراكية في ظروف واعوام متعددة وهي ذات طابع اصلاحي بحت .

٥ـ الاشتراكية الشيوعية وتلقب « بالاشتراكية الدولية الثالثة » التي اقرها مؤتمر (برن) ولها طابع انقلابي ثوروي

٦ـ الاشتراكية الاسلامية

(فالاشتراكية المسيحية) واكثر انصارها من البروتستانت تقيم سدوداً من فولاذ دون التورط بالمبادىء الماركسية وترتبط بتعاليم الانجيل النبيلة التي لا تخلو من النزعات الاشتراكية المهذبة كالاحسان الى المحتاج ، واقامة الملاجيء والمستشفيات ودور التعليم لطبقات العمال . وتؤيد المشاريع الاصلاحية والعمرانية التي من شأنها اغداق الكسب الوفير على العمال والترفيه عنهم وعن عوائلهم . وهذه الاشتراكية منتشرة بكثرة في انكلتره ويطلق المتمذهبون بمبادئها على انفسهم اسم « حزب العمال » كما أنها ذات نفوذ قوي في بلجيكا والنمسا والمانيا وغيرها ...

اما (الاشتراكية الراديكالية) فأنها تطالب بتوزيع قسم من رؤوس الاموال بين مجموع افراد الشعب وعدم حصرها بالطبقات البورجوازية المتمولة دون سواها ومن جملة مبادئها جعل التعليم حراً لايتقيد بشعائر دينية . وان يحد من تدخل رجال الكنيسة في شؤون الدولة وفي المسائل السياسية . فنزعتها اذن « لايكية عمالية ، اصلاحية » وتنتشر هذه الاشتراكية بكثرة في فرنسا وايطاليا والبلاد الاميركية الجنوبية .

و (الاشتراكية الدموقراطية) وتقوم تعاليمها على تدعيم نفوذ الزعماء الشعبيين تحت ظل نظام جمهوري قوي وجعل الدولة هي مصدر الثروة لتشترع لطبقات العمال المناهج والمشاريع الاصلاحية التي يتقاسم نفعها العمال والبلاد معاً ولهذا الحزب تشكيلات منظمة جداً وتنتشر في المانيا وايرلندا وتشكوسلوفاكيا وربما في سويسره ايضاً .

و (الاشتراكية الثقافية) وتهدف الى حماية النقابات المختصة بالعمال والطبقات الصناعية وتكوين مرافق الدولة من عناصر هذه النقابات . وفي حالة تطبيق مناهجها على الوجه المتقدم يتسع المجال لترفيه احوال العمال وتناول القسم الاكبر من

الثروات الأهلية وصرفها في سبيل الاغراض الاصلاحية والاشتراكية، كأشتراكيي الجناح الايمن من احزاب اليسار في فرنسا والولايات المتحدة وبعض انحاء بولونيا وفنلندا وانكلتره .

هذه هي مبادىء الاحزاب الاشتراكية الدولية الثانية لخصنا الوانها ومناهجها بدون اسهاب لأنها ليست بيت القصيد من ابحاثنا . وانما اتينا على هذا التلخيص ليتبين للقاري الفرق بين الوجهات الاشتراكية المختلفة ويقارن بينها وبين الاشتركية الثالثة « الشيوعية » ثم يقابل هذا كله بالاشتراكية التي انبثقت من صميم التعاليم الاسلامية النبيلة حيث اصطلحنا على تسميتها بـ « الاشتراكية المتصوفة » كما مر معنا .

وهنا لابد من الاشارة الى انه جاء وقت قام فيه هؤلاء الاشتراكيون الاصلاحيون للعمل على دمج مبادىء هذه المذاهب الاشتراكية الاربعة بعضها ببعض ـ طالما انها تستقي مبادءها في الاساس من ينبوع عقيدة واحدة ـ وتكوين مبدأ اشتراكي واحد وغايتهم هذه ترمي الى مناهضة الفاشيزمية والنازية ومحاربة مباديها العسكرية الديكتاتورية وتهديم كيانها وتشكيلاتها . ولكن ما كاد هؤلاء الثوريون الاصلاحيون *LES PARTIES SOCIALISTES REFORMISTES* يفلحون في خطواتهم الاولى ـ وكان يتزعم حركتهم المرحوم المستر « ماكدونالد » رئيس وزارة العمال الانكليزية السابقة ـ حتى عادوا الى الاختلاف على الاهداف والمباديء الاصلاحية ولا سيما بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية بانتشار الخراب والدمار والجوع في كل انحاء اوربا . نعم ان الحرب المذكورة تمكنت من سحق النازية والفاشيزمية وابادتها من الوجود ولكنها ذرعت مكانها الزعامة الشيوعية التي لا تقل في خطرها ومبادئها الديكتاتورية والاباحية عن النازية او الفاشية ، بل ربما كانت نسخة طبق الاصل عنهما ولو اختلفت الاسماء

تينك النزعتين السياسيتين الجامحتين ... وأخذت روسيا عند ظهور القدرة الشيوعية الهائلة محلقة في سماء اوربا بصلفها وجبروتها تبث روح الثورة والدعوة الى الاشتراكية الدولية الثالثة (الكومنترن الحيف) في اوربا الشرقية كلها باديء ذي بدء، في بلاد فنلندا والبلطيق وبولونيا والمانيا الشرقية وتشكوسلوفاكيا ورومانيا والصرب وبلغاريا والبانيا ومعها الاقطار الاسيوية وهي متجهة الآن الى اوربا الغربية لتلعب نفس الدور الاكتساحي الجارف ... فتجاه هذا التيار اخذت الاحزاب الاشتراكية المعتدلة في اوروبا واميركا وبالانكاء على مضافرة الاحزاب الاخرى كالدموقراطية والجمهورية والملكية والمحافظة تعود إلى تشكيل جبهة قوية عتيدة لتجدد حملتها على الشيوعية وتعمل على مكافحتها وابعادها عن اوربا الغربية واميركا بشتى الوسائل ، ولو ادّى ذلك الى حرب عالمية ثالثة . اذ تعتقد هذه الاحزاب ان الحرب الجديدة مع ما ستجر وراءها من شرور واهوال تقضي على البقية الباقية من قوى هذا العالم المتضعضع الجائع إلا انها سوف تكون اقل ويلاً وخطوباً واخطاراً من مصائب انتشار الشيوعية بين شعوب العالم . وقد ذكر ذلك المستر (اتلي) رئيس الوزارة الانكليزية وزعيم اكبر حزب اشتراكي اصلاحي في العالم في عدة خطابات انتخابية القاها في مختلف انحاء انكلترة بظروف عديدة . وله قول مأثور بهذا الصدد يتضمن اغراضاً سياسية عميقة الاثر والهدف اذ يقول :

(لايصلح العالم المضطرب اليوم سوى اتحاد عمال العالم بل جميع شعوبه لمكافحة روح الفوضى التي برزت في شرقي اوربا بقالبها الشيوعي واخذت تكتسح غربيها ...)

الباب الثالث

نقد المبادىء الماركسية وبيان اخطائها واضرارها

على كل نعود هنا الى التكلم عن الاشتراكية الخامسة كما وردت فى التقسيمات التي اشرنا اليها آنفاً ، وهي الاشتراكية الاممية الثالثة ونعني بها (الشيوعية) والتعليق على المبادىء الرئيسية التي وضعها لها الاشتراكي العاملي المتطرف (كارل ماركس) والتي اجملناها فى البابين السابقين .

يقول (ماركس) بان المبادىء الاشتراكية لاتتحقق ـ على حسب اعتقاده ـ بالطرق السلمية ، وانه لابد من اعلان الثورة على المجتمع الرأسمالي والبورجوازي فى العالم وتهديمه للوصول الى الاهداف التي ترمي اليها هـذه المبادىء . وهو يعني بالثورة هنا الدعاية وتنظيم الحملات الانقلابية وتحوير انظمة المجتمع الدموقراطي باقامة تشكيلات تهديمية ، لتقويض دعائمه وجعلها ذات قابلية للامتزاج بالروح الاشتراكية . ولكن التجارب التي قامت بها الدولة الشيوعية الكبرى ونعني بها روسيا في هذا السبيل خالفت فيها هذه النظريات الماركسية من عدة وجوه بعد ان تمشت عليها فى اول نشأتها بضع سنوات اي الى حـين وفاة مؤسسها الشهير (لنين) . وهذا ما دعي الزعيم الشيوعي (تروتسكي) رفيق لنين الى ان يتمرد على هؤلاء الاصلاحيين الذين يتزعمهم (ستالين) اليوم عنـدما رآهم يلجأون الى تطبيق برامج الدعاية للشيوعية بوسائل ملؤها الضغط والاكراه بدون ان يكون فيها اي اثر للاقناع العلمي بصحة المبدأ الماركسي . وهاك سياسة الاخضاع بالجبر

والقوة فى المناطق التي تسربت اليها الدعاية الستالينية ، الا ترى فيهـا صور الارهاب المريع الذي تتضاغط انظمته الاستبدادية على بعضها وتخرج منها شرراً مخيفاً يلجيء الناس الى الرهبة والخنوع بدون ان يكون للعقيدة اوالايمان ادنى مفعول حرّ لاستعمالها في سبيل الاختيار والترجيح ؟ مع ان المبـدأ الماركسي لايقول بنظرية الاكراه العملي بل يحدب في فلسفته على (الثورة الباردة) التي يجب شنها على المجتمع البشري ، لأنه واثق كما يعتقد من صحة نظرياته بان هذه الثورة المنبثقة عن مباديء اجتماعية علمية لابد ان يكتب لها الفوز في النهاية لان ٩٥ بالمائة من مجموع الشعوب القاطنة في اربعـة اطراف الكرة الارضية تعيش على حسب زعمه تحت تحكم (الحاجة الملحة) التي تتطلبها الحياة . وهـذه الحاجة لاتصل تلك الشعوب اليها الا عن طريق الكد والعمل ، والعمل لايتيسر للانسان الا اذا مهّد له اصحاب رؤوس الاموال . وهنا تظهر نظرية (كارل ماركس) الاشتراكية قوية عندما يصور لك هذا العبقري بان مصيبة العمال تتجلى فى هذه المرحلة بافظع الوانها تحت تأثـير تصدق الرأسماليين عليهم بالتشغيل لقاء اجور تافهـة ، بينما يقتطف هؤلاء من وراء كد هذا العامل البائس اضخم الثروات والموارد التي تزيد في غناهم ورفاههم وتحكمهم !!

ولم تكتف روسيا بمخالفة المباديء الماركسية من هـذه النواحي فقط ، بل لجأت ايضاً الى تحوير القواعد الألحادية التي تتمشى الشيوعية عليها اعتقاداً منهابان الرفق بالشعائر الدينية التي تعد الركن الاساسي لكينونة الشعوب على مختلف مناهجهم ومذاهبهم قـد تفضي الى استمالتهم للمباديء البلشفيكية فأعادوا فتح الكنائس والمساجد وأباحوا حرية المعتقدات والتعبد وأرجعوا لرجال الدين جميع الحريات التي كانوا سلبوها منهم على عهد الزعيمين (لنين) و (تروتسكي) . كما انهم غضوا الطرف عن ظهور بعض الـنزعات البورجوازية حيث صار بامكان

بعض الطبقات اقتناء المرافق الخاصة والقصور المسجلة على اسمائهم والسيارات وغيرها ... وهنا تبدو ظاهرة اخرى في تهديم النظرية الماركسية القائلة بازالة الملكية الخاصة واذابتها في خضم المجتمع الشيوعي العام لتكون ملكاً للمجموع.

وقد كان تروتسكي قبل فراره من روسيا يقول بان رؤوس الاموال التي يتمتع بها البورجوازيون قد تكونت من عرق العمال وكدهم وجهودهم ، فيجب اذن ان تكون ملكاً للعموم لا للخواص فقط. ولذا اباح مصادرتها وضمها الى الثروة الشعبية التي تسهر الحكومة على تشغيلها وانمائها . ولكن ظهرت على اثر ذلك بوادر انعكاسية جعلت رد الفعل من وراء تطبيق هذا المبدأ ذا اثر سلبي ارتج على دعاة الشيوعية الرئيسيين تلافيه ، وكانت اولى هـــذه البوادر تضعضع النشاط الفردي لان الناس أخذوا يقولون :

(ما معنى انهاكنا في العمل والكد ليلاً نهاراً ونحن لانبرح ضيوفاً على مائدة الفقر ؟ هل خلقنا لنبذل قوانا وقدرتنا لأجل الحصول على رغيف من الخبز فقط ؟ ثم نطرح بجميع ماتنتجه اجسامنا وعقولنا وقدرتنا على اقدام الزعماء في الكرملين اوالبورجوازيين المختفـــين وراء المباديء الكاذبة ليتبسطوا وينعموا بالعيش الرغيد والحياة الهنيئة الرافلة بكل متممات الرخاء ؟ اللهم ان هذا الظلم لا نرضى به ، وان هذا الاستعباد لاتستسيغه الشرائع ولا يهتضمه العقل البشري حتى ولا عقلية كارل ماركس نفسه الا اذا كان مصاباً بداء الجنون اوالعته ...)

فهنا رأى ستالين وانصاره ان الخطر يحدق بالشيوعية ، وان الحقيقة الجارحة كامنـــة بكل مقوماتها المنطيقية فى تشكيات وآهات العمال المارة الذكر . فراحوا يطاردون المفرطـــين من الدعاة الشيوعيين اليساريـين وعلى رأسهم (تروتسكي) واشياعه ، وانكبوا على تعديل المباديء (الماركسية – اللينينية) على الوجه الذي اشرنا اليه آنفاً .

فاذا جمعنا بين طرفي المبادىء الستالينية التي عمل على تطبيقها بظروف مختلفة نجد انها تتراوح من جهة بين فلسفة التحوير لدساتير (كارل ماركس) الاشتراكية وبين التطور الحديث الذي طراء عليها تحت تأثير التجارب السياسية والاجتماعية وقد نتج عن ذلك (اشتراكية ستالينية شيوعية) تختلف من وجوه عديدة عن الدستور الشيوعي الماركسي . وتتلخص شيوعية ستالين الجديدة فيما يلي .

١ ـ تحقيق المبادىء الشيوعية بالضغط على الشعوب والعناصر بدون التفريق بين اديانها وقومياتها ومواطنها ولو اقتضت الحال الى تجريد السلاح وبالتالي الى الحرب

٢ ـ اظهار بعض الرفق والمجاملة بالطبقات البورجوازية والرأسمالية .

٣ ـ التسامح مع رجال الدين وإطلاق حرية التعبد لجميع الاديان في المعابد والصوامع وتلقين التعاليم الدينية في المدارس .

٤ ـ مكافحة الاستعمار لانه قائم على نشر السيطرة الدموقراطية واطلاق الحريات لجميع شعوب العالم بلا استثناء لتبقى مستقلة في مواطنها .

٥ ـ استغنام الفرص التي تتيحها هذه الحريات لبث المبادىء الشيوعية بين مختلف الشعوب وربطها مع جمهورية الاتحاد السوفيتي بمعاهدات ذات صبغة (بروليتارية) وضمها الى (الكومنترن) او (الكومنفورم) اي الاتحاد الشيوعي الذي تترأسه روسيا .

٦ ـ حصر المبادىء الشيوعية في (١) تقوية التشكيلات النقابية (٢) مراقبة البورجوازية وجعلها محدودة النفوذ المادي (٣) مواصلة الكفاح لتقويض النظام الرأسمالي (٤) تحديد الملكية ووضع انظمة خاصة لها (٥) لغو الوراثة (٦) اعلان النضال الدائم ضد ارستوقراطية الطبقات المتنفذة

وخلق ارستقراطية عمالية متواضعة تقوم دعائمها على الايمان الاشتراكي الثوروي .

فعلى هذا الاعتبار يمكن عد « ستالين » مصلحاً ضمن نطاق الشيوعية وزعيم ثورة جديدة في عالم الاشتراكية المفرطة آخذة بالاقتراب في تعاليمها من الاشتراكية المعتدلة او الدولية الثانية . وقد لايبعد ان نسمع في يوم من الايام الغير البعيدة بظهور زعيم ثالث يحور ايضاً في التعاليم الستالينية ويجعل لها صلة بالمصطلحات والدساتير الدموقراطية الاشتراكية ، بل نستطيع ان نجزم بان هذا الانقلاب واقع لا محالة ، لان التجارب التي قام بها المتزعمون الشيوعيون المتأخرون في عالم السياسة والادارة والاقتصاد والاجتماع دلت على انه لا بد من هذا التحوير ، لان المبادىء الماركسية المتطرفة والثورية لا يمكن تطبيقها على المجموعة البشرية بجذافيرها ، بل لم يمكن تطبيقها على الشعب الروسي نفسه ، اذ دلت التتبعات والاستقراآت التي لا يشك في صحتها والتي قامت بها شخصيات دولية ذات صفات رسمية على ان ٦٠ بالمائة من الشعب الروسي لم يفهم ما هي الشيوعية منذ تأسست في بلاده ولم يدين بها لانه يعيش على مبادىء الفطرة المحدودة المواهب والثروات والثقافات !! و ٣٠ بالمائة يفهمونها ولكنهم ينفرون من تعاليمها الاباحية والألحادية ويعملون على تهديمها داخل روسيا وخارجها ، اما الـ ١٠ بالمائة الباقية من هذا الخليط الهائل فان نصفهم من اليهود الثورويين الذين يعملون على تهديم المجتمعات البشرية باية وسيلة كانت ولا غاية لهم سوى اتمام هذا الأجرام المريع والنصف الثاني هم ممن يتبوأون المقاعد العليا والوظائف الكبرى والثروات الضخمة ويعيشون في عالم يسوده الجاه والرخاء في روسيا نفسها مع السيطرة والفسق وبحبوحة العيش ...

هذه حكاية روسيا الستالينية اليوم فليتدبرها من يشكل عليه تفهم اغراضها

ومراميها ، اذ بسطناها هنـــا اوفي بسط حسبما قررهـا المنقبون السياسيون والاجتماعيون الذين يقولون بان الشيوعية اليوم اصبحت حزباً سياسياً لا مبدءاً اجتماعياً او مذهباً انقلابياً يستهدف نفعاً عاماً للدهماء او للبيئات التي يستوطنها السواد الاكبر من اهل هذه الكرة ويراد بهم العمال !! . .

يقول (شارل باران) :

(ان المبادىء الشيوعية الهدامة هي من صنـــع اليهود الذين ارادوا ان يضرموا جذوة الخلاف والنزاع والتهديم والاباحية بين مختلف طبقات البشر حتى تصل الى الفوضى وينبروا هم طالبين برؤوسهم الحمراء الكريهة من تحت الأنقاض ليستثمروا هذه المطاحنات بين الأمم حسبما رسموا من خطط جهنمية توصلهم في النتيجة الى الاهـداف العنصرية التي يرمون اليها الا وهي جعـــل ابناء يهوذا سادة البشر يتحكمون بمقدرات الناس كما يشاؤون وتشاء لهم مطامعهم المادية الخسيسة وانانيتهم الساقطة . وليس عدد الذين يعرفون هـذه الحقائق قليلاً بين المدققين والمتتبعين في عالمنا الأوربي ، بل نستطيع ان نقول بأن معظم سكان الغرب والشرق باتوا يدركون حقيقة الدسائس السياسية والمادية التي يغشي ظاهرها طلاء من التواضع وحب الانسانيـة وينطوي باطنها على دهاء مخيف ومقت فارع للشعوب والملل الغير اليهودية . فياليت (روبسبيير) الثائر المصلح الأفرنسي لم يسقط ويقتـــل فتتوارى معه المبادىء التي وضعها لخير الانسانية وحماية الطبقات البورجوازية التي ترمي الى وضع اسس دموقراطية اجتماعية نبيلة في توزيع الأراضي وحفظ الثروات الخاصة . اذن لما نبذ بعد ذلك قرن المبادىء اليهودية الشيوعية الهدامة ولقامت مقامها التعاليم الدموقراطية السامية الغرض .)

وفي الحقيقـــة فان ما قاله هنا (شارل باران) هو صورة حقيقية قاطعة لما يختلج ويعتمل في قلوب الناس عامة من اعتقادات لاتتناولها الشكوك بأدنى ريب

وهي ان اليهود هم دعاة الشيوعيـــة الأولون . وانهم لم ينزعوا الى دعم الثورة الشيوعية الا لأجل ان تنفشى الاوبئة الاشتراكية المتطرفة وتداهم مكامن المجتمع البشري الآمن الهادي فتدكه وتنشر الفوضى القارعة على انقاضها ، ويتزعم دهاة الاسرائيلية الخبيثة والصهيونية الهدامة شؤون العالم ويوجهونها في السبل التي يعم معها البؤس والفقر بـين الناس ولا يظل على وجه البسيطة من متنعم الا (ابناء يهوذا) دون غيرهم ... !!

عود الى المبادىء الماركسية

نعود هنا الى التعرض للمبادىء (الماركسية) التي يقرر علمـــاء الاجتماع بوجه عام انه لايمكن تطبيقها فى البلاد التى نضجت فيها الحضارة واتسع في آفاقها النيرة نطاق الثقافات المختلفة . نعم قد لا يكون النزع الثوري الذي تتسلح به هذه المبادي يحمل طابع الثورات التي تتكيء على السيف والمدفع . ولكنها على كل حال تفشي روح الفوضى بين الناس كما تغشاها ايضاً سريرة الحاذية غاشمـــة لايقول بها المجتمع البشري المهذب والمتمدن ، فالألحاد ليس سوى ترديد لذهنية الجهل اوالجهلة الذين يدفعهم الفقر والضعف الاخلاقي الى اليأس ، ومنه يتدرجون الى ازدراء الطبيعة والنظر اليها بعين المقت . لانها على زعمهم اوجـدت التفاوت العميق بـين الناس ، فجعلت منهم الاغنياء والاسياد وبجانبهم العبيد والفقراء . والمنعمين والى قربهم المعـدمين ، والاقوياء ويقابلهم الضعفاء . والارباب وعلى ابوابهم يقف العمال البؤساء . فهذا التفاوت يبعث فيهم روح التمرد على الشرائع الالهية التي يجردونها (والعياذ بالله) من روح العدالة ويتهمونها بالتنمر على الفقير الضعيف دون سواه ...

فمن هذه الهوة السحيقة التي تسودها حلكة الجهل الضليلة الداجية تترعرع

روح الكفر والزندقة في الاوساط الجاهلة والضعيفة الايمـــان ، والغريب ان يجاريها في ترديدها الألحادي هذا رجال لهم ثقافتهم العالية وعلمهم الغزير كـ (كارل ماركس) و « فردريك انجلس » و « سن بي دومن » و « لنين » و « تروتسكي » وغيرهم .

قد تكون لهؤلاء العلماء والزعماء اراء فلسفية فى تكوين العالم ، وفي طبائع البشر ، وفي روح التشريع ، وفي الانظمة الاجتماعية ، والاقتصادية . ولكن ما كان ينبغي ان يكون لهذه الآراء طابع التحريض وحمل الطبقات الساذجة من الخلق على اعلان الثورة والنفرة ضد الذين يقفون على الضفة الثانية من هـــذا العالم الانساني ونعني بهم الموسعين المرفهين فينتهي الامر باحتكاك الطرفين ونكب البشرية بسيول جارفة من الدماء والويلات والاوصاب ، فيفشى من ورائها بعد ذلك داء الفوضى السفاك بين الخلق وتعود المدنيـة الحاضرة الى الأفول والتدثر بالجرائم والشقاوات المرعبة .

لعل الجاهل عذره في اعلانه الحرب على الاديان ودعاتهـــا . ولكن ما عذر العالم والفهامة في نقمته تلك على الاديان والشرائع السماوية ؟ ولنفرض انه اراد لنفسه هذا الذهاب المرتج الذي لا نهاية له الا ارسال الغموض والضلال على حياته نفسها وتركها تشرد في اغوار سلبية حائرة لا قرار لهـــا ـ اجل لنفرض ذلك للافاضـــل والمتبحرين الذين ارادوا لانفسهم السلوك في هذه المفاوز الوعرة . ولكن اما كان يكفيهم ان يدونوا في آثارهم كل استنبـاط علمي اختصوا به فلسفتهم ، كما فعـل ذلك من قبلهم معظم فلاسفة اليونان والفرس والعرب والهندوسيين ؟

لقد وجد بين هؤلاء العلماء والفلاسفـة من انكر وجود الله ، ومن تنكر لشرائعه ، ومن استبدله بعبادة صنم اصم ، ومن اقام نفسه الهاً مكان الله ومن ومن مما يطول شرحه وتعداده . ولكن لم يوجد بينهم من عمل على اثارة حفيظة الناس الى اعلان الثورات وسفك الادمية ضد بعضها بعضاً !!

دعي الفلاسفة الناس في مختلف العصور الى الاندماج في بدعهم ومذاهبهم . ولكن لم تكن دعوتهم تحمل روح الاستفزاز وحمل السيف ... بل كان هذا الطغيان من شان الزعماء الفاتحين والمغيرين والطامحين دون سواهم كاسكندر المكدوني وتيمور لنك ونابليون وهتلر وغيرهم . فالفلاسفة كانوا ينشرون رسائلهم ومذاهبهم بتؤدة وتواضع . فتسري بين الناس حاملة شتى الآراء والفقهيات والتوجيهات الاعتقادية والتجددية فمن شاء من الدهماء آمن بها ، ومن لم يشاء تنكر لها واعرض عنها .

كان يجب ان يكون لدعوى التحريض على الالحاد او التمذهب بمبادىء اجتماعية ثورية من حق اولئك الفاتحين العظماء الذين كان بأمكانهم حمل الناس على قبول امثال تلك الانطباعات التحويرية ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك ، وما ارادوا ان يفعلوه لانهم كانوا يعرفون جيداً ان بامكانهم اخضاع النفوس لحد سيوفهم ، بينما هم لا يستطيعون اخضاع العقول اليها !.

فكارل ماركس العالم لم يسيء الى مذهبه الاشتراكي وعقائده الفلسفية فقط ، بل اساء الى المجتمع البشري ايضا بحمله الناس على الثورة ليتقبلوا مباديه ويتمذهبوا بها مهما كان لونها ومرماها حتى ولو كانت هذه الثورة سلمية ومسلحة بغير السيف والبندقية . ولكنها تحمل على كل حال طابع التمرد والتنكر لشتى المعتقدات والتشاريع والمواضعات الاجتماعية التي يتقلدها البشر ويتمشون على قواعدها ويهتدون بنور توجيهها ؟ ؟

يقول ماركس :

١ – يجب سحق اصحاب رؤوس الاموال وابادتهم . ولماذا الأجل ان ينعم العامل بثرواتهم ؟ او ليس الاجدر بهذا الزعيم الاشتراكي ان يوجد حلاً وسطاً يحول دون العبث بالحقوق العامة – وهو الذي درس الحقوق ونال الشهادات

العليا فيه ـ ودون اراقة الدماء ودون الفوضى التي تهيمن على العالم من جراء تشريعه العجيب عندما لا يبقى سيد ولا مسود ؟

لو كان ماركس (مصلحاً) ونظنه اراد الاصلاح حقاً ولكن عن طريق الاباحية والاكراه ـ نقول لو كان يتوخى الاصلاح لمجرد الاصلاح لتعمق فى دراسة قواعد الشريعتين المسيحية والاسلامية المشايعة لروح الاشتراكية البريئة والرامية الى جميع الاهداف التي يتشيع لها هذا الفيلسوف . فجاء الفرق بين وجهته وبين التشريعين السماويين عجيباً جداً . فالسماء مدت يداً ناعمة رحيمة لاصلاح المجتمع البشري وماركس ارسلها خشنة شائكة وتحمل فوق ذلك سيفاً قاطعاً تلوح معالم الدماء على شفاره .

ويقول ماركس :

٢ ـ يجب مكافحة الاديان لانها مخدرة لاعصاب الشعوب واستئصال شأفة رجال الدين ... الى آخر ما يقوله . وهو يعلم جيداً انه لا يمكن حمل مليارين من الخلق على التنكر للأديان وجعلهم يستغرقون في مهاوي الكفر والألحاد . فهو اذن من هذه الوجهة اشبه بعيّار يقوم بالالعاب السحرية طلبا للشهرة والانتفاع !!

لنفرض ان الناس وعددهم (٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) من البشر قبلوا بالمبدأ الألحادي ، فليت شعري ماعساه يكون مصير هذه الكتل المتراصة من الخلق بعد ان تسودهم فوضى الألحاد ؟ كيف ينتظمون في حلقة واحدة يسودها التفاهم والتواضع على العادات المختلفة والسنن الاجتماعية التي تتراوح بين الهمجية والتجددية المهذبة ؟ ثم اذا تنكر فريق من الاعتقاديين كالمسلمين والمسيحيين مثلا على المباديء الألحادية فماذا تصنع بهم الشريعة الماركسية ؟ اتعمل على قتلهم وابادتهم وهم يحصون الملايين من الخلق ؟ وعندما تظهر بادرة من هذا النوع

الايعتري المبدأ الالحادي وجه كئيب ثائر سفاك ولا سيما في حالة اللجوء الى عقود الزواج مثلا التي لا يقبل بها المتدينون الا ان تكون شرعية لا مدنية ، وفي حالة وقوع عقود اخرى لا يمكن اجراؤها الا بالرجوع الى انظمة دينية لامدنية ، وكذلك الحال في وقائع الميراث ، والطلاق والوفاة وطقوسها الدينية؟؟

نقول في حالة بروز امثال هذه المباينات بين الشريعة الالحادية وبين شرائع القائلين في التمسك بالاديان السماوية ايلجأ الماركسيون الى قتل هؤلاء الملايين من الناس لانهم خالفوا المبادي الاشتراكية الثورية ، وفي حالة قتلهم ماذا يكون مصير البشرية التي تغور في اعماق خضم من الدماء المهدورة ظلما وعدواناً ؟ ثم الا يدل هذا التقتيل ان صاحبنا (ماركس) قد لجأ الى قاعدة الجبر والاكراه والظلم والاستبداد وسفك الدماء البريئة مع انه لم يحمل على الرأسماليين والبورجوازيين ويتنكر لهم الا لاعتقاده بانهم يلجأون لمثل هذه الجرائم الرامية الى ارهاق ارواح العمال ليضنوا عليهم بالاموال وانواع الرفاه واليسر ؟ وهنا نتساءل قائلين افلا يكون والحالة هذه قد ناقض هذا (المصلح) نفسه بنفسه وتنكر لمباديه التي استن لها ـ على زعمه ـ القواعد العادلة تعم من ورائها الخيرات والبركات على الافراد والجماعات بالسواء ؟؟

ويقول ماركس :

٣ ـ يجب ان تفك كل علاقة بين الثورة الاشتراكية والميول الملكية والملكية والافكار والآراء القديمة المتوارثة كالدين وكالاعتداد بالعصبية الدموية وحب الامارة والسيادة ، وتظهر هنا وجهات نظر (كارل ماركس) المقلدة للفلسفة السقراطية المعروفة والمصطح عليها باسم (ANTHOPOMORPHISME) اي عبادة الشخصية البشرية واضحة ، اذ انها تترك الله ليعبد الانسان ، الانسان الوضيع ...

وهذا منتهى موضع الغرابة في فلسفة هذا الثائر العصامي الشاذ (١) . فالمعروف عن الزعماء او العلماء المصلحين الذين تقدموا الى العالم بظروف مختلفة ببرامج تحمل النظريات الانقلابية والاجتماعية انهم تجنبوا الخيط والتبجح في رسالاتهم او حملتهم حين يتمكنوا من اسلاس قيادة الجماهير تحت زعامتهم وجلبها بالدعوة الحسنة المقنعة الى اعتناق مذاهبهم ، ومن كان يجمح منهم ويلجأ الى النظريات الشاذة كالكفر وكالحض على الثورات ونشر الفوضى بين الناس وكالعبث بالحق المدني العام والتلاعب بمفهوم الحريات والحد منها يطارد ويشرد ـ كما توقع لكارل ماركس ـ هذا اذا لم يقطع ارباً ارباً ، او يعلق على اعواد المشانق . والامثلة على ذلك في التاريخ كثيرة جداً لا مجال للاتيان على تعدادها هنا ، لان خواص الناس حتى وعوامها يعرفون بما طالعوا عنها في الاسفار والسجلات العامة .

ثم ان التنكر للعصبيات معناه التحامل على الطبيعة نفسها ، لانها هي التي جعلت من دماء البشر الوانا بين زكية صافية واصحابها يتسمون بخايل النبل وبين عكرة موبوءة . وناقلوها يعرفون بالاثمة والمجرمين واهل المكر والشرور . وهذه الدماء التي انحدرت الى عروق الناس منذ آلاف السنين تحمل طبائع الجدود وميولهم وغرائزهم . فترى هناك سيدا تواضعت امامه كل العهنجنيات

---

(١) يقول الفيلسوف الالماني (شليماخر CHLIMAKHR) ان ليس بين الله والانسان اي غموض فيما يتعلق بامر الاثر والمؤثر . فالانسان كما نعلم مخلوق . وهو بالطبع لم يخلق نفسه بنفسه ، وعنا يبرز المؤثر من تلقاء ذاته وهل هو غير (الله) ؟ وهذه النظرية المنطيقية تنطبق على نظريات علم التوحيد في الاسلام . ثم ينحي هذا الفيلسوف باللائمة على (كارل ماركس) ويعتبر نظرياته الاشتراكية المتطرفة وزندقته معارضة جامحة للمألوف وافتتاناً بحب الظهور لانها خالية من القواعد المنطيقية الاقناعية .

والقوى الشرسة المتمردة ، لأنه كان يخضعها ويحميها ويقودها الى امرته بفضل المواهب العليا التي كان يتحلى بها كالكرم ومحاسن الاخلاق والشجاعة والثراء والشمائل النبيلة . وترى بجانب هذا السيد الأصيل طيوف من الرعاع تنقل جراثيم الفوضي والجرائم بين الخلق وتعبث بالحقوق العامة وتعمل على تهديمها ، او اكداس من البشر لا مواهب لهم ، تفتك بهم شتى المساوىء الخلقية والخلقية الوراثية ، ويغمرهم الفقر الذي يسوقهم اليه الخمول وفقدان المؤهلات التي تحملهم على دفعه عنهم . اذا قدمت لهم العمل اعرضوا عنه لانهم اصبحوا جزواً من البؤس او كلاً له .

فكيف يريد (كارل ماركس) المزج بين الغث والسمين والخبيث والطيب ويخرج من هذا كله دستوراً غريب الشكل يتنكر فيه لسنن الطبيعة وتصنيفها للاجناس بما لا يمكن تحوير شيء منها لانها محكمة الوضع راسخة القواعد ؟

لاننكر بان المساواة بين الناس امر محبب لمختلف الطبقات ولا سيما الطبقات الوسطى والدنية ، لأنها تشيد وتساند مباديء التساوي المدني ، كما ان القوانين العامة تظاهر عدالة المساواة وتؤيدها ، ولكن في الحقوق المطلقة فقط . اما في المراتب المدنية والاجتماعية فان لكل انسان حق التمتع بميزات منزلته بين ارستوقراطية او دموقراطية او اشتراكية هذا ان كانت موهوبة وذات لون اجتماعي كما له الحق ايضاً في التمتع بميزاته المكتسبة كالعلمية والمالية والحكومية والعمالية ان كانت طارئة .

غير ان المساواة التي يطلبها (كارل ماركس) فأننا نراه يجعلها طليقة من كل قيد ويزيد عليها لزوم اكراه الطبقات النبيلة والثرية ان تتنازل عن مراتبها وتجعلها مع مراتب الطبقات العمالية ذات خليط يحمل لوناً وحقوقاً واحدة مادية كانت ام معنوية اذ يقول :

(يجب ان يبرز مجتمع جديد على انقاض المجتمع البورجوازي تكون فيه حرية التطور والتقدم لكل عضو من اعضائه متمشية مع حرية التطور والتقدم لجميع الطبقات ..)

وهنا ينفي « كارل » قواعد الحرية الفردية المطلقة ويقيدها بسلاسل من « المساواة » الاستبدادية العجيبة التي لاتهتضمها حوصلة علماء الاجتماع بوجه من الوجوه . وفي طليعتهم « سن بي دومن » الذي يقول :

(ان كل الثورات التي انتشرت بين الأمم في جميع انحاء العالم وفي جملتها الثورات الاشتراكية نادت حتى بح صوتها بالمساواة بين طبقات البشر . ولكن الطبيعة ابت ان تبدل بالرغم من جهود الثائرين وادميتهم المراقة خيطاً واحداً من سننها وظلت المساواة التي استنها الناس هي السائدة ، وستبقى محتفظة بها على مسارح الانقلابات حتى يوم الحشر ...)

والمساواة التي يعني بها هذا العالم الفاضل والتى فرضتها الطبيعة على الناس تحتفظ دوماً بالاخاديد والمضاعفات الموهوبة من قبلها للثري والفقير والقوي والضعيف والوجيه والصعلوك والآمر والمأمور والسائد والمسود والمالك والمستأجر مهما استعمل المجددون الثوريون من الوسائل الراميـة الى الضغط والاكراه اوالتقتيل والتخريب . ومهما وضعوا من الدساتير والأنظمة الاصلاحية فان كل هذا سيبقى حبراً على ورق . لان سنن الله لا تتبدل . ولان كل غاشية تتعرض لهذه السنن المقدسة ترتد الى نفسها وتسحقها على حد قول الشاعر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فما اضرها وأوهى قرنه الوعل

ويقول ماركس :

٤ – بالغاء الوراثة – ان الماركسيين الشيوعيين يعتبرون الوراثة والملكية الخاصة شيئاً واحداً اوعاملاً مزدوجاً لاثبات حق التملك ولما كانت الاملاك مشاعة في نظرهم اي انها ملك للامة . فلا ثمة من موجب يتيح للفرد حق الوراثة . وهنا نرى إن هذا المبدأ يتنابذ قبل كل شيء مع الآية الانجيلية القائلة

« اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

فمعنى المبدأ الشيوعي من هذه الوجهة لايختلف عن معنى الكفر بكل الشرائع السماوية الذي يقول به « كارل ماركس » فلا حاجة والحالة هذه الى جرح هذه النظرية الفاسدة بعد ان تكلمنا مطولا فيما تقدم معنا بتفنيد اخوتها من العقائد الاجتماعية الثورية .

وقد يقال بان الطعن او النقد للعقائد المختلفة الالوان والاتجاهات لايقوّم من اعوجاجها وشذوذها لانها قائمة على قواعد اصطلاحية يصعب زحزحتها عنها . فنقول جواباً على ذلك بأن هدفنا نحن ايضاً يرمي الى اثبات بطلان الفاسد منها لا تحويل المتمسكين بها عن ايمانهم الضليل . لان محاولة عزل امثال هذه الفرق عن معتقداتها او زحزحتها عنها يتطلب مرور احقاب طويلة من الزمن ومن وقوع التجارب عليها حتى يظهر فسادها فتضمحل عندئذ من تلقاء نفسها كما توقع لكثير من البدع السياسية والاجتماعية المرتجة الواهنة . فانها لما لم تستطع الصمود امام التجارب الجبارة تلاشت وانقرضت كالبابية والطورانية وبعض المذاهب الباطنية الاخرى التي ظهرت في الشرق . وكالاشتراكية الكيرنسكية التي ظهرت في روسيا مدة من الزمن ثم انقرضت بانقراض الزعماء الحياليين القائلين بها وعلى رأسهم (كيرنسكي) المشهور الذي كان يقول بتحديد الانتاج الاشتراكي حتى لا تترعرع شهوة الثراء في رؤوس العمال . فأراد ان يطبق على الجماعات بجيوش الفقر ليظل هذا العامل التهديمي مخيماً على طبقات الغمال وبالتالي على مجموع الامة وهو لعمري مبدأ اشتراكي غريب الشكل جدا ، وبسبب غرابته هذه لم يعش الا نذراً قليلا من الزمن ثم انقرض هو والقائلون به معاً .

ويقول ماركس :

٥ - بالتنكر للاحسان — وهنا تشتط النعرة الشيوعية بالماركسيين الى التنكر

لمبدأ الأحسان البسيط الذي لا يقام له وزن في عالم التفكير العلمي او النظريات الفلسفية . فالأحسان عرض والحاجة جوهر . فاذا كان (كارل ماركس) يتنكر للاحسان . فيجب والحالة هذه دفع الأسباب الموجبة له . ولما كان المبدأ الشيوعي على زعمه يؤمن هذه الغاية . فاصبح هذا الدستور (الماركسي) يتطلب التعديل على الوجه التالي :

« الأحسان مثبط للهمم ولمباديء الثورة الاشتراكية . فيجب قمعه بكل الوسائل عندما تزول الاسباب المؤدية اليه حتى لا يفل العزائم ويدفعها الى الانكماش في عالم الخمول والعطالة ... »

فلو قال (كارل ماركس) بهذه النظرية التدريجية لجعلنا ننصاع الى صحة هذه الفكرة الاصلاحية بدون عناء ، واليك التدليل على سلامة ذهابنا هذا وقوته .

لماذا قال (ماركس) بالاشتراكية وتشيع لأفرط نوع من انواعها وهي اللون الثوروي ضد الكثير من القواعد الاجتماعية التي يتواضع اربعة اخماس سكان الكرة الارضية على الركون اليها ؟ اليس لانه شاهد بؤس العامل والفقير المعوز وما جر هذا البؤس على طبقة كثيفة من الجماعات البشرية من سفالة وضنك وشقاء ؟ فكيف اذن يحظر على الناس في النظريات الاشتراكية التي وضعها مزاولة بادرة الاحسان التي حضت النواميس بأجماعها على مؤاتاتها لتخفف من ويلات الفاقة القارضة وذلك قبل ان يجد مخرجاً لهؤلاء البؤساء من المعضلة الفتاكة التي تجرف صفوفهم الى مهاوي الموت المحتم ؟

فالأحسان اذن لا بد منه . الى ان يحل العهد الذي لا يعود فيه الانسان البائس فيشعر بالحاجة اليه فيبطل من تلقاء نفسه . واذا ما ازيل فجأة من بين الطبقات المحسنة والمحسن اليها نال فريقاً كبيراً من الناس هضيمة البوار تحت ضغط العوز والجوع .

وقال ماركس :

٦ – بلروم مكافحة روح الاستعمار ونشر لواء التحرر بين جميع طبقات البشر –

ونحن عند هذه النظرية العالمية المستقيمة لا نستطيع الا ان نكبر شعور (كارل ماركس) الانساني لانه يقدر ما اشتط في قواعده الثورية التي استعرضناها فيما تقدم معنا ، انصف وعدل واحسن كل الاحسان في نظريته هذه التي يرمي بها الى لزوم تخليص الامم الضعيفة من ربقة الاستعمار والاستعباد بدلا من تركها تئن تحت جبروت الامم القوية وتصلفها وتفظيعها الذي اصبح مضرب الامثال ... فطالما ان الانسان خلق حراً . فيجب ان يظل محتفظاً بحريته المقدسة هذه مهما كانت حالته منحطة ومدنيته متلاشية واهية .

ولنستمع هنا الى نظريات (الماركسيين) بهذا الصدد ، فهي لا تخلو وايم الحق من روح نبيلة تشب لمناضلة المستعمرين والحد من شرورهم واستئصالها قال (كارل ماركس) نفسه:

« يتهمون الاشتراكيين بأنهم يرغبون في هدم الوطن والقومية . ليس للعمال وطن . ولهذا فهذه التهمة باطلة . ازيلوا استثمار الانسان للانسان تزول في الوقت نفسه كوارث استثمار الامم بعضها لبعض . ففي هذا الوقت الذي يتلاشى فيه التناحر الطبقي من قلب كل امة يتلاشى ايضاً العداء والحقد بين الامم) .

ثم اتخذ المؤتمر السادس العالمي (للكومنترن) قراراً بالمعنى التالي :

«على فروع الكومنترن في المستعمرات وفي البلاد الشبيهة بالمستعمرات ان تفضح الزعماء الوطنيين المعتدلين الذين يساومون المستعمرين للتفاهم معهم على الاشتراك في استثمار الشعب العامل وارهاقه واستنزاف دمائه ، وأن تبين للشعوب حقيقة نواياهم الاستعمارية الجشعة وتدعوهم الى مقاومتهم . كما أن على فروع الكومنترن في البلاد المذكورة ان تؤيد الزعماء الوطنيين الثائرين ضد الاستعمار وتوجد بينها وبينهم جبهة متحدة للنضال المشترك ضد الاستعمار . وعلى فروع (الكومنترن) في البلاد المستعمرة ايضاً ان تدعو الطبقة العاملة فيها الى النضال العنيف المتواصل ضد المستعمرين

وتأييد الشعب العامل في المستعمرات في نضاله ضد الاستعمار ومؤازرته في حركاته التحريرية الوطنية سواء في الهند او في مصر اواندنوسيا او الهند الصينية او افريقيا او غيرها ... (١)

هذه هي المباديء الماركسية في قضية الاستعمار . ولعمري لولا حضها على تأليف (جبهات متحدة) = ومعنى هذه الجبهات في نظر الماركسيين توحيد المبادي الشيوعية في كافة حقول الشعوب المستعمرة = لكانت هذه المباديء من اقدس واشرف النواميس الانسانية التي اصطلحت الاحزاب السياسية والفرق الاجتماعية على وضعها .

ثم ان تشجيع الشيوعيين اليهود على اغتصاب البلاد الفلسطينية من اصحابها العرب الا يناقض المبدأ او القرار الذي وضعه مؤتمر الكومنترن العالمي السادس الوارد نصه اعلاه بلزوم منح الشعوب حق التمتع بحرياتها وحقوقها في اوطانها ؟ اجل لولا الفوضى الكامنة في المباديء الشيوعية وتناقضاتها الغريبة لاستخلص الناس منها اشياء قيمة . ولا سيما ما يتعلق بسحق سياسة الأستعمار التي تقول بها الدول القوية وازالتها من العالم. ولكن انزواء الروح الشيوعية المضطربة الثائرة وراء مكافحة هذا الاستعمار تنزل من قدر تلك النظريات الانسانية النبيلة ...

---

(١) ـ نقلا عن كتاب الاشتراكية الشمالي

الفصل الثاني

الاشتراكية المعتدلة واهدافها وغاياتها

الاشتراكية المسيحية والراديكالية والدموقراطية والنقابية

بعد ان انتهينا من شرح وتحليل المباديء الشيوعية وتعليقاتنا عليها بما يطمي على اسسها بالتجريح ويبدد نظرياتها بتدليل علمي وعملي رأينا ان ننتقل بابحاثنا في هذا الفصل الى الاشتراكية المعتدلة ودراسة مباديء الفرق القائلة بها والمؤيدة لانظمتها . وقد سبق ان المحنا اليها باختصار وعددنا الوانها وقلنا انها تتوزع على اربعة جبهات وهي (الاشتراكية المسيحية) و (الاشتراكية الراديكالية) و (الاشتراكية الدموقراطية) و (الاشتراكية النقابية) . ويطلق على هذه الفرق الاربع نعت سيامي لتفريقها عن الاشتراكية الشيوعية الثورية فيقال لها :

(الاشتراكية الدولية الثانية)

واهدافها كلها تقريباً اصلاحية سلمية وسنبدأ فيما يلي بتحليل ودراسة مباديها ومناهجها واحدة واحدة تمهيداً للوصول الى الاشتراكية التي وضعنا هذا الكتاب من اجلها الا وهي (الاشتراكية المتصوفة) او (الاشتراكية في الاسلام) فنقول :

الباب الاول

١ ـ الاشتراكية المسيحية :

ان زعيم هذا المذهب وموجده هو الداهية النمسوي (مترنيخ) وزير خارجية

النمسا . فقد احدثه بعد الخلاف الذي نشب في مؤتمر بروكسل وكان قد عقده اشتراكيو الدولية الثانية عام ١٨٨٩ لادخال بعض التعديلات الاصلاحية على المناهج الاشتراكية . فتبين (لمترنيخ) ان (الدولية الثانية) آخذة في التطور بسرعة من الدور الاصلاحي الذي اختطته لنفسها الى الاشتراكية الثورية او الشيوعية بتعبير اصح . فألقى خطابه المشهور الذي اتهم فيه بعض الزعماء البارزين في المؤتمر بالاباحية واعداد ثورة عامة في اوربا تكتسح عروش الملكيين وثروات البورجوازيين وتحويل الكنائس والمعابد الى ملاجيء لايواء العمال . واعلن في ختام خطابه انفصال الاشتراكيين النمسويين والمجريين عن الدولية الثانية وعزمهم على تكوين منهاج خاص بهم يتضمن :

١ – عدم مساس المبدأ الملكي وصيانة التاج الامبراطوري في النمسا والمجر ورد فكرة الجمهورية .

٢ – صيانة الملكية الخاصة بعد تحويل قسم من ارباح رؤوس الاموال الى العمال علاوة على اجورهم في العمل المودع اليهم .

٣ – الاحتفاظ بحرمة الاديان وصيانة الكنائس ورجال الدين ومؤسساتهم لتظل متمتعة بحرية العبادة واعمال البر كما تقضي بذلك تعاليم الانجيل .

٤ – ايجاد مؤسسات خاصة لتثقيف العمال والترفيه عنهم وعن عوائلهم .

وقد احدث هذا الخطاب انشقاقاً كبيراً في صفوف المؤتمرين انتهى بانقسامهم باديء ذي بدء الى جبهتين الاولى (وهي التي تؤيد مترنيخ في نظرياته) وتتكون من اشتراكيي انكلتره وبلجيكا والمانيا وهولاندا والسويد والنمسا ، والثانية التي رفضت المنهاج المترنيخي وعدته خطوة كبرى نحو (البورجوازية) وينضم اليها اشتراكيو فرنسا واسبانيا وايطاليا وغيرهم ، ثم ما عتم اشتراكيو هذه الجبهة الثانية حتى تشتت صفوفهم وانقلبوا الى شيوعيين ونقابيين وراديكاليين ، وتوزعت الاشتراكية الى شتى المذاهب والمباديء بين متطرفة ومعتدلة الى ان

عاد هؤلاء الى عقد مؤتمر جديد في (برن) عام ١٩٠٣ اطلق عليه اسم المؤتمر الاصلاحي (للدولية الثانية) . وكانت الغاية منه لم شعث الاحزاب الاشتراكية الاممية وتوحيد صفوفها . فتضاربت آراء المفرطين وكان في جملتهم لنين الشيوعي المشهور - والمعتدلين وعلى رأسهم (فارمو كاسترو) الاسباني .

وبعد اخذورد طويلين انتهى الى تنكر الاكثرية للمبادىء الماركسية المفرطة التي نادى بها « لنين » الروسي و « دوجلاس » و « سن بي دومن » الالماني في هذا المؤتمر الذي دام ١٧ يوماً واطلقت فيه اكثر من ٥٠٠ رصاصة وبلغ ضجيج العربدة التي نشبت في صفوف هؤلاء العماليين حداً اضطر الحكومة السويسرية الى ان تنذر المؤتمرين بلزوم فض اجتماعاتهم خلال ٢٤ ساعة من تاريخ ذلك الانذار . فكانت النتيجة ان استقرت الالوان الاشتراكية على الشكل الذي سبق لنا بيانه في الباب الثاني من الفصل الاول اي الاشتراكية المسيحية والراديكالية والدموقراطية والنقابية والشيوعية .

عود على بدء

تبين لنا من تطورات المبادىء واتجاهات الزعماء ان نظريات « مترنيخ » الاشتراكية المعتدلة قد صادفت رواجاً واستحساناً في معظم ارجاء اوروبا حتى ان كثيرين من الامراء والنبلاء والسراة في النمسا والمجر وانكلترة انخرطوا في صفوفها وراحوا يؤيدونها لانها اقرب في جوهرها الى المبادىء الملكية منها الى الجمهورية ، كما انها تحمي الثروات العامة من التوزع والتلاشي بين الطبقات الدنية التي لا تلبث حتى تبيدها ويقوم مقامها فقر عام في كل صقع وبيئة وتنشر العطالة والكساد رواقها فوق الاسواق التجارية والانتاجية ويعود العالم القهقرى وتتوارى معالم التحضر والترفه من كل مكان في القارة الاوروبية .

ماذا تريد الطبقات الارستقراطية والبورجوازية في بلاد كانكلتره والنمسا والمجر وبلجيكا مثلاً لتأمين سلامة عناصرها وثرواتها ومراكزها خيراً من المبادىء « المترنيخية » المعتدلة ، ولو كان فيها ما يحمل هؤلاء على بعض التضحيات المادية لتأمين الرفاه والحياة الهانئة لطبقات العمال ؟ ؟

ألا تصان بعد هذه التضحيات الطفيفة اماراتهم ومعاملهم ومعظم رؤوس اموالهم وهل لا يكفيهم هذا ؟ بلى ... وفوق ذلك تصان المعابد والاديرة والعقائد من ان تمد لها يد الفوضى والتخريب وتحولها الى اباحية وزندقة لا يعلم نتائجها الا الله ؟؟ !!

اذن « فمترنيخ » هو المنجي الاعظم لهم ، فيجب ان يكون موضع تكريمهم وتكريم الملوك والامراء والاثرياء ورجال الكهنوت ، حتى وطبقات العمال نفسها . وفي الحقيقة فأن هذا الداهية العظيم قد عاش مكرماً سيداً وسياسياً لامعاً ومستشاراً رئيسياً لقصور ملوك اوربا « لا النمسا فقط » ونبراساً يستضيئون بقبس توجيهاته الصائبة الحكيمة . وكان يلقب بـ (LIDRE MONDIALE) اي (الزعيم العالمي) . وانعم عليه الامبراطور فرنسوا جوزيف بلقب (كونت) فكان السياسي الوحيد في اوربا الذي جمع بين الارستقراطية والدمقراطية والاشتراكية بوقت واحد ...

الباب الثاني

٢ - الاشتراكية الدموقراطية

قلنا فيما مرّ معنا ان مؤتمر (برن) انتهى بعد عربدات طويلة صاخبة الى توجيه الاشتراكية الدولية الثانية لعدة الوان عددناها واحدة واحدة وتكلمنا عن اللون

الاول منها وهو (الاشتراكية المسيحية) . وها نحن ننتقل هنا الى النوع الثاني وهو (الاشتراكية الدمقراطية) التي تقوم تعاليمها على دعم نفوذ الزعماء الشعبيين وتأييد المباديء الجمهورية ومنح الدولة كل القوى المادية لتكون هي الوازع الاكبر لتنظيم الحياة العامة وتنسيقها وتثبيت استقرارها على المناهج الاصلاحية كالعمران والتجدد والتحول . وكل مقومات هذه الثورة العاقلة تقوم بها الحكومة على يد العامل . وقد دأب هذا الحزب على جعل تشكيلاته العالمية منظمة اقوى تنظيم لا تنقص افراده الثقافة ولا الرفاه المادي والاجتماعي . وينتشر هذا اللون الاشتراكي المهذب في ايرلنده وتشيكوسلوفاكيا والمانيا وسويسرة .

فيعجبك في هذه الاشتراكية انها تجعل استثمار رؤوس الاموال تحت سيطرة الدولة لتوزعها على ثلاثة وجوه (الاول) الاصلاح الاجتماعي و (الثاني) الترفيه عن العامل و (الثالث) صيانة الحقوق البورجوازية المساهمة في رؤوس الاموال بحيث تمنحها حق الملكية والاستثمار ضمن نطاق المباديء الاشتراكية الدموقراطية .

وقد انتشرت تعاليم هذا الحزب في المانيا ـ قبل ظهور الحكومة الهتلرية ـ انتشاراً كبيراً ادى الى انتظام الحياة العامة وتدرج البلاد في رقي متسلسل حتى اصبحت على جانب كبير من التكامل الصناعي والثقافي والاجتماعي . وكان مصدر هذا كله تضامن العوامل الثلاثة المتقدمة الذكر واتكائها على بعضها بتكافل عجيب وتكاتف سلمي هنيء تسوده القناعة وتحميه العقيدة القومية وتبعث فيه الحيوية والنشاط . ثم تسربت هذه المثل الطيبة الى (السويد) و (الدنيمرك) و (النروج) و (سويسره) واصبح هذا المبدأ الاشتراكي الدموقراطي عقيدة خالدة وينبوع فيض استثماري يرتوي من معينه الخاص والعام في تلك البلاد وتشعر معه الافراد والجماعات بأنها غير مغموطة الحق بل انها تسير بخطى واسعة في طرق السلامة والسعادة الاجتماعية والمادية .

ومما اتاحته هذه الفرقة القوية التعاليم للأفراد الموهوبين ان مهدت امامهم سبل البروز والتزعم ، اذ شجعت فيهم روح العصامية والتطلع الى مراقي القيادة

الشعبية الفارعة . فنبغ الكثيرون في شتى العلوم والصناعات والمخترعات والمواهب المادية المختلفة مما ادى الحال ببعضهم الى اكتساح صفوف بقية الاحزاب فى البرلمانات وتألفت منهم الوزارات واسندت اليهم مقدرات امهم . فقاموا على ادارتها وتوجيه دولاب الاعمال في الدولة بأحسن مايمكن ان تتوجه العناصر الاخرى المماثلة لهم فى الرقي والتنظيم . وكان ابرز زعيم في هذا الحزب بألمانيا (سترتسمان) المشهور ثم تلاه (هتلر) كما هو معلوم .

الباب الثالث

٣- الاشتراكية الراديكالية

وقد وصفناها فيما سبق بأنها تهدف الى توزيع قسم من رؤوس الأموال بين مجموع افراد الشعب وعدم حصرها بالطبقات البورجوازية دون سواها ، كما قلنا ان من جملة مبادئها جعل التعليم حراً لايتقيد بشعائر دينية ، وان يمنع تدخل رجال الكنيسة في شؤون الدولة الأدارية والسياسية . وهكذا تظهر في هذا الحزب النزعتان الاشتراكيتان القويتان وهما النزعة (العمالية الأصلاحية) و(النزعة اللادينية) بأبرز مظاهرهما .

وهذه الأشتراكية الشعبية تنتشر بكثرة في فرنسا وايطاليا والبلاد الاميركية الجنوبية . ولكنها لا تتخذ لوناً قوياً منظماً الا في فرنسا . ويتزعمها منذ عشرات السنين ويدير حركتها الزعيم الافرنسي المشهور (هريو) . ويليه (دلاديبه) و (كابيو) وسواهم .

فالبورجوازية غير قليلة النشاط والترعرع في احضان هذا الحزب . ومباديه الرئيسية تمنح الطبقات الرأسمالية قدراً غير قليل من الحقوق الأستثمارية ، الأمر الذي حفظ للبلاد التي تنشط فيها الاشتراكية الراديكالية ثروة شعبية يعتد بضخامتها ما انها حفظت للعمال حق التمتع بأوفر الأجور والشروط المؤمنة لبحبوحة العيش ورخائه . وقد جاء وقت اصبحت فيه الثروة الملية الأفرنسية اوسع ثروات الأمم الأوربية . وسبب ذلك تمسك الأشتراكيين فيها بالمبداء القائل بـ(الأنتاج المشترك) وهو مبداء اشتراكي راديكالي ادخل فيما بعد على التعاليم الشيوعية فاقتبسته وعملت به .

ويقضي هذا المبداء بتنظيم الأنتاج المشترك ليزاحم الأنتاج الفردي ويزيله من طريقه في مرافق المستهلكين وعندما استقر لهـــذا التوجيه الأمر رأينا المعامل الميكانيكية تتوسع وتكثر ثم اخذت هذه المصانع بعد قيام الآلة فيها تخفف من ساعات العمل لدى العمال مع احتفاظهم بالاجور التصاعدية الطيبة .

وكل ما تعاب عليه مباديء هذا الحزب عبثها بحقوق الكنيسة واضطهادها لرجال الدين الى حد طردهم من البلاد واغلاق المعابد وجعل الفكرة الالحادية او اللادينية على الاصح هي السائدة في ذهنية الشعب من حين يشب الى ان يشيب . ولكن بجانب صحة النظرية القوية التي تقول بلزوم منع رجال الدين من التدخل في الشؤون السياسية والادارية . يوجد من يقول بأنه كان ينبغي سن القوانين الزاجرة التي تمنع رجال الكنائس وجماعات الكهنوت من التعرض لغير امور الدين والاكتفاء بهذا القدر بدلا من مطاردتهم واغلاق اماكن العبادة ، وارهاق الشعب بالتعاليم اللايكية المتطرفة . ولكن هذا الرأي وذلك المذهب لا يعدمان انصاراً اقوياء ينتج عن تناظرهما بقاء كل شيء على لونه وشكله . فالراديكالية الاشتراكية باقية وطيدة الاركان وخاصة في فرنسا ، كما ان المعارضين لهـا وهم احزاب اليمين يوسعون الخطي في مكافحتها والعراك الى اليوم مستمر وسيظل كذلك حتى تضمحل نظرية احد الطرفين وتتفوق عليها نظرية الآخرين .

وبهذه المناسبة فقد تبادر الى ذهننا المبداء اللايكي الذي لجاء اليه المرحوم مصطفى كمال وانصاره في تركيا بعد اعلانها جمهورية شعبية . فدرسنا اهداف هذه الفئة (المجددة) دراسة عميقة لنتوصل الى الهـــدف الذي تتوخاه من وراء تقليد سواها في هذا المبداء . فلم نجد هنالك ثمة من فكرة عالية او اشتراكية او تقدمية تتولى توجيه الكماليين الى هذه الفكرة . لانه لا لون اشتراكي لها او حزبي بالمعنى المعروف ، وكل ما هنالك انها فكرة ارتجالية ترمي الى تظاهرة سياسية واهية تجاه اوربا كان القصد منها ابعاد تهمة التعصب الديني عن الاتراك وجعل الرأي العام فيها يعتقد بأن تركيا اصبحت دولة اوربية ولكن كل هـذا لم يجد فتيلاً فالذي راح ضحية هذا الارتجال هو الشعب التركي والدين الذي يدينون به لأن اوربا ما برحت تعتقد كل الاعتقاد بأن تركيا دولة اسلامية رئيسية . فلو استند الكماليون في انقلابهم هذا على مبدا سياسي لكان ذلك اعم نفعاً لمركزهم الدولي ولقام لهم الانصار والمؤيدون في العالم الغربي الدولي يتشيعون لهم . فأما وانهم لم يفعلوا ذلك فقد خرجت تركيا من هذه الثورة الغربية مذبذبة اللون ، فلم تعد تعتبر لا شرقية ولا غربية اي لاتصلح ان تسمى دولة اوربية ولا دولة اسلامية ....!!

الباب الرابع

٤ ـ الاشتراكية النقابية

وتعرف هذه الاشتراكية بـ (المحافظة) لانها اول اشتراكية ظهرت في اوربا. وهي تتكيء على المبداء النقابي لان كينونتها قائمة على تقوية عناصر النقابات المختلفة . وجعل كيان الدولة مرتكزاً على سواعد الشخصيات البارزة في صفوف

هذه النقابات . ومن هذا الاتجاه يتسع معها المجال لتوفير اكبر قسط من الرخاء الاقتصادي لصفوف العمال لان مبداء التأمين الذي هو الركن الاساسي في منهاجها يجعل يدها مبسوطة كل البسط في تأليب كل العناصر العملية لجعل العامل موفور الكرامة والصحة والمعيشة بارز النفوذ في المواقف السياسية التي تطرأ على بلاده كالانتخابات النيابية والبلدية ومن ثم في كل ماله صلة بالعلائق الاقتصادية مع الامم الاخرى . وتجتهد هذه الفرقة الاشتراكية في ان تجعل صفوفها في البرلمانات ذات كثافة تفوقية . لانها بالاكثرية العددية التي تستحوذ عليها في البرلمان تستطيع ان تجعل مقدرات القوة التنفيذية دائماً بيدها ، اما مباشرة او بطريقة غير مباشرة . وتبدو هذه الاشتراكية قوية في فرنسا وانكلتره . ويتزعم الاولى (بلوم) ـ وهو يهودي ـ والثانية (اتلي)

ويبلغ عدد النقابات المنتمية الى الحزب الاشتراكي الحالي في فرنسا ٢٧٣ نقابة . اما في انكلتره فأنّ للتشكيلات الاشتراكية فيها منهاجاً آخر يقوم على اذابة كل قدرة نقابية في بوتقة (حزب العمال) الذي هو الحزب الاشتراكي الانكليزي . فلا تستطيع النقابات العمالية ان تباشر عملاً بدون ان يكون البت الاخير في لونه ومراميه راجعاً الى حزب العمال ما خلا قضايا الاضرابات فأن المرحوم المستر ماكدونالد زعيم هذا الحزب السابق ارتأى في احد المؤتمرات التي عقدها حزبه جعل اعلان الاضراب عائداً الى النقابات دون غيرها . لانه اذا قدر لحزب العمال يوماً ان يتولى الوزارة وادارة شؤون الدولة فلا يتسنى هنالك له ان يعلن على حكومته اي على نفسه الاضراب وخاصة اذا كانت الحكومة طرفاً في الخصومة مع اصحاب الاعمال والمصانع ضد فكرة العمال في النزاع الواقع . وقد ايدته الاكثرية في الحزب وبقيت نزعة الاضراب مستقلة عن القيود التي يفرضها الحزبيون على النقابات . . .

اما في فرنسا فأن النقابات فيها هي المسيطرة على مقدرات الحزب الاشتراكي

واتجاهاته. لان الاشتراكية الافرنسية عمالية بحتة ولها نزعات اجتماعية متطرفة لا تقول بها ولا تتعرف عليها الاشتراكيات التي نعتناها بـ « المحافظة » في بعض البلدان الاخرى فهي مثلاً تتنكر للتجارة الفردية وتناهض مبداء الـ «TRUSTES» اي الشركات التجارية الكبرى المتحدة التي تعمل على دعم فكرة الاحتكار لان كلا هذين المبدأين التجاريين يؤدي الى التزاحم فالافلاس ، وفي هذه الحالة تغلق المعامل ابوابها وتسرح عمالها فيقع هؤلاء تحت وطأة البطالة الفتاكة ولذلك دعم الزعماء الاشتراكيون في فرنسا فكرة انشاء الشركات التعاونية COOPERATIFE لتنافس وتضارب الشركات الكبرى والمتاجر الاحتكارية الصغرى .

ومع ان هذا المبدأ «ماركسي» اي شيوعي فان الحزب الاشتراكي النقابي في فرنسا الذي يتزعمه اليوم « بلوم » كما قلنا انفاً لم يرَ بداً من القول به وادخاله في جملة مناهجه الحزبية ، لانه لم يعثر على اصطلاح اشتراكي اجدى من هذا لحفظ حياة العامل وصيانة التوازن الاقتصادي في البلاد .

والخلاصة ان الروح الاشتراكية سائرة بخطى واسعة في معظم اوساط اوربا الى تقوية نفوذها بسبب تفشي البؤس والفقر في هذه القارة من جراء الحروب المتواصلة ، ولكن هذه الاشتراكية لا تقف كلها عند حدود معينة ، ففيها المعتدلة وفيها المتطرفة وفيها المحافظة ... وكلها تمشي الى مناحرة بعضها بعضاً بسبب تباين المبادىء في مناهجها ولا يبعد ان يأتي يوم تنقلب فيه شؤون الناس الى حروب ومناحرات متواصلة بعضها يكون سلاحه التزاحم واختلاف النظريات الاقتصادية والبعض الآخر يرجع الى سلاح النار والبارود . لان تهدم الاعصاب والضعف الطاريء عليها يجعلها ضئيلة المقاومة ، بل يصيرها اسيرة للطوارىء المفاجئة ، تنقاد الى اصدائها المخربة المهدمة .

وفي هذا الصدد يقول المستر «تشرشل» ذاهية الانكليز في مذكراته اثناء بحثه عن القضية الاوربية :

« لا تلبث الاشتراكية ان تمتشق الحسام هذه المرة ايضاً بوجه الدموقراطية لان الجماعات البشرية اصطلحت منذ الازل على ان تكون دائماً وابداً منقسمة الى فئتين مختلفتي الميول الحيوية . وهذه هي التجربة الثالثة التي يقوم بها هؤلاء الهدامون ضد الفئة الرصينة الهادئة من الناس ومع اعتقادي بأن مصيرها سوف يكون نفس المصير السيء الذي تعثرت به من قبل ، الا انني لا اتفاءل ابداً في حسن مصير الدموقراطية ، لاءنها لكثرة ما عانته من وطأة الكفاح المستمر ضد اخصامها اخذ الوهن والانحطاط يستوليان على جميع مؤهلاتها وقدرتها . ولذلك وخوفاً من وقوع هذه الكارثة التي سوف تكون الاخيرة لانها ستمحوا اثر البشرية عن وجه الارض ، اقول فخوفاً من وقوع هذه الكارثة اقترح ان يقوم العقلاء المفكرون في اوروبا واميركا بدرس الطرق العملية التي تزيل اسباب هذا النزاع الجديد المنتظر وتحوله الى التفاهم والوئام قبل ان يفوتنا الوقت ... »

وبينما انت تقراء افكار هذا السياسي العظيم الانسانية الصائبة وتتمنى تحقيقها تجد الاشتراكيات الثائرة تطالعك بنظرياتها المعاكسة لهـــذه الاماني الحكيمة وتقول (١) :

(ان الدموقراطية او البورجوازية عبارة عن (قوة) تبذل جهدها لاخضاع الطبقة العاملة لسلطة الرأسمالية وتمكينها من مص جهود العامل والفلاح والفقير . لان جميع الشرائع والقوانين القائمة في الدول الرأسمالية – مهما كان شكل الحكم في هذه الدول ملكياً ام جمهورياً ام دموقراطيـاً – لم توضع الا لحماية الملكية الخاصة . ولاءخضاع الشعب الفقير لمشيئة الطبقات البورجوازية الحاكمة وتمكينها من استثمار جهـوده . . . ولهـذا ترى الاشتراكيين الثوريين يقاومون الدول الدموقراطية مقاومات عنيفة ويهزأون بشرائعها وقوانينها وينادون الطبقة العاملة العالمية قائلين لها :

« ١ » – نقلاً عن كتاب « الاشتراكية على مائدة التشريح » لشارل ماران

عليك أن تنظمي صفوفك في النقابات والجمعيات الثورية وتناضلي نضالا عنيفاً بقيادة الحزب الاشتراكي الثوري لكي تفوزي بأسقاط الدولة البورجوازية واقامة ديكتاتورية «البروليتاريا» علي انقاضها فتنشر هـذه « الديكتاتورية » العدالة الصحيحة مكان العدالة الدموقراطية الزائفة .

اذن فالاشتراكيون لا يمكن ان يرضوا عن اي شكل كان من اشكال الدول البورجوازية ويستحيل عليهم الاعتراف بعدالة اي تشريع او قانون او تفاهم مع الرأسماليين . كما ان جميع الدول البورجوازية تحارب الاشتراكيين الثوريين حرباً شعواء لا هوادة فيها وتبذل كل ما في وسعها لمطاردتهم والتضييق عليهم تضييقاً تختلف اشكاله بنسبة استيفحال امر الضائقة الاقتصادية وحركات الطبقة العاملة في كل قطر . »

فاذا قابلنا بين هـذين الرأيين ، رأي تشرشل واراء الاشتراكيين وخاصة الشيوعيين منهم نجد انه لا بد من وقوع الكارثة التي يتخوف منها الداهية الانكليزي اللهم الا اذا طرأ ما يفاجيء الناس على مختلف انواعهم بتحقيق احلامهم السلمية . ولكن الامل في ذلك ضعيف جداً بسبب الحمم النارية التي تقذفها المباديء الشيوعية على العالم فالله نسأل ان يرأف بعباده ويقي الانسانية شر المصائب ، لاءن اقل صدمة تفاجئنا بها الطواريء التي باتت منتظرة تدك معالم هـذا الكون المزدخر بحضارته الساطعة الانوار والله اعلم .

الفصل الثالث

الاشتراكية المتصوفة

او الاشتراكية في الاسلام

قلنا في مقدمة هذا الكتاب :

(ليست الاشتراكية التي نبذ قرنها في اوربا بأواسط القرن التاسع عشر عبارة عن نزعة اجتماعية البسها الوعي الاقتصادي في مختلف اقطارها جلباباً سياسياً فضفاضاً وصيرها من ثم مبدءاً حزبياً تتفرع عنه بعد ذلك مذاهب مختلفة تتراوح بين الافراط والاعتدال حتى اصبحت تبعدمع توالي الايام بكل اتجاهاتها عن معنى الاشتراكية الحقيقية وفلسفتها وايحائها الانساني بعد السماء عن الارض اجل ليست الاشتراكية التي ظهرت آنئذ في اوربا عبارة عن بادرة اجتماعية من حيث المبدأ او الغاية وضع قواعدها « كارل ماركس » او « فردريك انجلس » او « سن بي دومن » او من جاء بعدهم كـ « لنين » و « تروتسكي » و « فارموكاسترو » وسواهم . انما الاشتراكية الحقيقية ، الاشتراكية المهذبة المتصوفة ، الاشتراكية التي تشمل المعنى والهدف لاساليبها الرحيمة الرامية الى خير العناصر البشرية المثقفة والمرهقة بشتى العوامل القاسية والجائرة هي الاشتراكية التي وضع قواعدها القرآن الكريم ، وبشر محمد صلى الله عليه وسلم بتعاليمها النبيلة بين مختلف طبقات البشر حتى يتساوى ضمن نطاق هذه التعاليم الغني والفقير في تناول وسائل العيش على اهون سبيل واعد له ومن ثم لتسدي الى المعوز يداً

سخية ولتخفف من وطأة بؤسه وآلامه . وفي هـــذا الصدد يقول المستشرق « دوزي- DUZIS » وهو الراهب البلجيكي المتعصب والمعروف بتحامـــله على الاسلام بشتى التآليف التي وضعها ما نصه معرباً بالحرف الواحد وهو يمتدح بها من التعاليم الاشتراكية التي نادى بها الدين الاسلامي ويشيد بسمو الاهداف الانسانية العالية التي يرمي اليها قال :

« ان المباديء الاشتراكية هي من وضع الاسلام . وانها لتعدو وايم الحق الناحية الحساسة جداً في صميم قواعد الدين الاسلامي . ولها وجهات تنطوي على نبالة في القصد لازالة ضغط الحاجـــة الملحة عن الفريق الرقيق الحال في مجتمعنا البشري . ويخال الي كلما توغلت في دراسة الاهداف الشريفة التي نص عليهـــا قرآن المسلمين فيما يتعلق بالحيـاة الاشتراكية انني ارى دموع محمد تنسكب على محياه الصوفي كلما ورد اسم الفقير على لسانه او تحدث اليه متحدث عن فواجع الفقر وافاته ... »

فهذه الشهادة من فم عدو كـ « دوزي » الراهب العـالم جديرة بان تكتب وتخلد لتعد ركناً من اركان الاستنباط التاريخي والعلمي لأصـــل الاشتراكية ومنبتهـا .

هذا ما المحنا اليه في مقدمة كتابنا الذي فرضنا على نفسنا فيه ان نلم بجميـع ما يتعلق بالمباديء الاشتراكية بين مفرطـة ومعتدلة لنثبت ان الاشتراكية في الأصل هي مبدأ انساني وضعه الاسلام وحض على رعايته وحمايته داخـل نطاق القواعد التالية التي جُعلت من صميم اركانه الاساسية للتمشي على ما استُن لها من انظمة ومصطلحات وفروض :

اولا — الذكاة .

ثانياً — الفطرة .

ثالثاً – غنائم الحرب .

رابعاً – التكايا .

خامساً – صناديق الايتام .

سادساً – الكفارات والخراج .

سابعاً – الثمن من كامل ميراث ذوي الثروات الذين لا اعقاب لهم .

كما اثبتنا ذلك فيما سبق معنا من ابحاث دقيقة وتتبعات علمية وتاريخية نوهنا اليها ايضاً في المقدمة .

ان الاشتراكية المتطرفة اي الشيوعية ليست الا عبارة عن مبدأ الحادي فوضوي كان يعرف عند الروس قبل ظهور « لنين » وانصاره بالمذهب « النهليسي NIHILISME » وهو يرمي الى سحق السلطات الحاكمة وابادة الثروات الفردية لتذوب في بوتقة الجماعات ، وغرض هؤلاء من ذلك لا يختلف عن اغراض الاحزاب « الفوضوية ANARCHISME » و « الكاربوناية CHARBONARISME » وكلها كما يعلم المطلعون تستهدف استئصال شأفة الخلال الدموقراطية النبيلة وسحق الثروات الفردية والقضاء على ارباب الرأسماليين المعروفين بالبورجوازيين والارستقراطيين ، واقامة حكومات واحزاب مائعة لا لون لها وتعرف بالفردية « MONISME » او التنكرية « CRITICISME » ومعروف ان جميع هذه المذاهب تهدف الى بث مباديء الاستثارة « IRRITABILISME » والوصول بالشعوب المختلفة الى الانغماس بروح الفوضى والألحاد .

اما الاشتراكية « المتصوفة » التي عنى بها كتابنا كما سنرى كل العناية واحاط بتعاليمها السامية من كل الوجوه وخصص لها نصيباً كبيراً من صفحاته ، فسوف تبدو فيما محاسن هذا الطابع الانساني الذي يتمشى مع التعاليم الدينية

جنباً الى جنب جليـة كل الجلاء فيرتقي المتطبع بها الى ارقى شواعر الرحمة ، كالترفيه عن المعوز والعامل المكـ والبائس المثقل وتهوين سبل العيش لمن ورطته الحاجة في غمائزها المرهقة .

واجمل من هذا سوف تطالعنا الآيات الكريمة والاحاديث النبوية واقوال علماء الأسلام وفلاسفته – وكل هذا نستعرضه امام انظار القراء في هذا الفصل – ما للمبدأ الاشتراكي الاسلامي من تأثير في تهذيب النفوس وردعها عن غاشية البذخ والاسراف فيما لا ينفع الناس مما تنكشف عنه الملابسات العميقة الاثر لكل صالح وطالع في عالم المباديء الاشتراكية بدون أدني تحيز لجانب منها أو التحامل على الجانب الآخر شأن من يبحث العقائد على مختلف أنواعها ويمعن في دراستها ضمن نطاق علمي لا يتعداه مطلقاً .

وقبل ان نبدأ البحث في هذا كله لا بد لنـا من ان نأتي على اثبات الكلمة التالية التي قالها العالم الالماني (كنت) عن تاريخ الاشتراكية التي ماشت وصاحبت الحضارة الاسلامية منذ نزعرعها في العراق والاندلس الى هذا اليوم والى ماسيخلفه من ايام حتى يوم الدينونة قال :

(اخذت مباديء الـ « SENSUALISME » اي التنكرية تستيقظ في بعض ارجاء اوربا بعد ظهور المدنية الاسلامية العربية في الاندلس . وقد تسربت باول عهدها من جبال « البيرونه » الى أواسط فرنسا . فتناول طلاب التجدد هـذه التعاليم الاجتماعية البارعة التي انبثقت عن الحضارة العربيـة الباهرة واخذوا في تبنيهـا ، فأيقظت فيهم رويداً رويداً شعورهـ « الموجودية » ، وظلت تختمر في الرؤوس حتى ظهرت بوادر الثورة الافرنسية الثانية واعقبتها الثالثة . وما هلّت طلائع القرن التاسع عشر حتى ظهرت علائم الروح الاشتراكيـة في المجتمع الاوربي ، وكان قبل ذلك لا يفقه من أمرها شيئاً ، وبهـذا بدرت تحت سماء أوربا أول نزعـة شريفة يتحلى بها الاسلام فتسربت الشعوب الاوربيـة

بجلبابها الحنون الناعم لتخطو خطوتها الكبرى في سبيل تنظيم حياة شعوبها على أسس اقتصادية واجتماعية قويمة .)

هذا ما قاله الفيلسوف (كنت) عن تاريخ الاشتراكية المحضة التي وضع الاسلام قواعدها الشريفة ، تلك القواعد التي تبعث الخير والرخاء ، والمساواة بين مختلف طبقات البشر في لين وحنان على أن يبقى ما لقيصر لقيصر الأمر الذي يبعد بها ويقصيها عن اشتراكية (ماركس) الأباحية وما فيها من شدة على أرباب رؤوس الاموال الذين لا مندوحة للعالم عن الاتكاء على ثرواتهم لتنتظم شؤون العالم الاقتصادية والصناعية ، لأن حصر الثروات بالحكومة (على حسب النمط الشيوعي) هو احتكار لكل مرافق الحياة بيد واحدة فلا العامل يسعد او ينعم بالرفاه المطلوب من ورائه ، ولا الموسر يرى فيه جزوءاً من الرخاء الذي كان يرتع بظلاله .

فالعامل سيظل عاملاً فقيراً وستضاف الى صفوفه طبقة البورجوازيين التي تنتقل الى الطبقة العمالية فتصبح والحالة على ما تقدم كل الطبقات فقيرة ما خلا الحكومة القائلة بهذا المبدأ الشيوعي المفرط ! فأنها وارهاطها الكبار هم وحدهم الذين سينعمون بخيرات هذا الاحتكار العجيب !! ونظرة واحدة الى الحالة الحاضرة في روسيا تكشف لك عن وجه هذه الحقيقة بكل وضوح . اذ لا ترى فيها منعماً مرفهاً الا أبناء الحكومة البارزين من وزراء وقواد ومدراء ورؤساء ... اما سواد الدهماء فكلهم عاملون أو عمال يشتغلون لأجل لقمة الخبز وبجانبها خرقة من القماش لستر عوراتهم . وبعد هذا هل يقال بأن الشيوعية سوف تغدق على البشرية (النعم والخيرات) بدون تحديد ؟؟

الباب الاول

المبادئ الصوفية في المبدأ الاشتراكي الاسلامي

« للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لايستطيعون ضرباً في الارض »
« يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسئلون »
« الناس الحافاً . وما تنفقوا من خير فأن الله به عليم . »
= قرآن كريم =

هذه اولى الآيات القرآنية الشريفة التي يتجلى في كل كلمة من كلماتها معنى الاشتراكية الصوفية التي يقوم الأسلام على التمسك بفضائلها ومنافعها . وقد جاء في تفسير العلامة المرحوم (الشيخ رشيد رضا) لهذه الآية الكريمة مايلي :

(وما المراد من الفقراء هنا الا اولئك الذين سبق لهم أن جاهدوا وناضلوا في سبيل الله ثم اقعدتهم نازلة اصابتهم في أجسامهم وأموالهم فباتوا مقعدين لا يستطيعون ضرباً في الارض أي عملاً أو سعياً لتأمين أقواتهم وأقوات عيالهم ، ولما كانوا ممن نشأوا على موائد النعم وترعرعوا في ظلال الترف والثراء ، فتراهم تجاه الضائقة التي تحيط بهم من كل ناحية لا يملكون وسيلة لدفع غوائلها لأن ظاهرة الكرامة وعزة النفس تمنع عليهم استجداء الرحمة من الناس فيلجأون الى الصبر والتعفف مرجحين ما يعتورهم من ضنك على اراقة ماء الوجه امام من كان يعرف فيهم الوجاهة والرخاء وجليل النعم . وكثيراً ما يُهلك الجمع العديد منهم بين جدران بيوتهم المالقة الفارغة فيذهبون ضحية هذه العفة وذلك الشمم وعدم الحافهم على الناس بالتصدق عليهم . وتتعرف الى هؤلاء الأباة الكرام من نظرة

واحدة تلقيها على سيماء الواحد منهم فترى آيات النحول والهزال والجوع ومظاهر الاعياء الكاسح بادية عليه يمشي مطرقاً الى الارض خشية أن يظنه الناس يستعطي بنظرة المكدود اليهم ، ويسعى جهده أن يكون مجملاً في لباسه ، باسماً طلق المحيا ولو كانت هنالك ضروب شتى من الاوجاع تكاد تودي به بين أرجل المارة لولا الصبر والمجالدة . فالى مثل هؤلاء البؤساء الفت الله سبحانه وتعالى أنظار الموسرين من المؤمنين وحرك عاطفة القائمين على مقدرات الخلق بأن يرفقوا بهذه الطبقة وأمثالها الذين كثيراً ما تدركهم المنايا تنشب فيهم اظفارها بدون رحمة فيقضون في اشنع صورة بيننا يظنهم الناس انهم ماتوا موتتهم المحتمة بدون ضغط أو نازلة اصابتهم من فقر كايدوه او بؤس كافحوه ككفاحهم فيما مضى بسبيل الله ...)

فالى امثال هؤلاء الكرام ، ثم الى من عداهم من بؤساء ومعدمين وعاطلين عن اي عمل يستطيعون ان يباشروه اشار القرآن الكريم والرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وحضت الآيات والاحاديث المثيرة الضارعة على اعارة كل اهتمام وبذل كل عون لمقاسمة هؤلاء عوزهم وتخفيف كوارث الفقر عن عواتقهم . فاشترع القرآن لهم الذكاة والفطرة ، والاجزاء المعينة من الميراث وحباهم الرسول بغنائم الحرب وأمر بفتح المآوي والزوايا والملاجيء ، ثم استحدثت صناديق الايتام لتجدي عليهم بما يسبل الستر ويدفع الخطب والاوصاب عنهم . وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها .)

وقوله :

(احب بيوتكم الى الله بيت فيه بائس او يتيم يكرّم) .

مستخلصاً عليه السلام نخائل صدور الناس بالبسط والسخاء ، مستشحذاً هممهم للصدقات اخذاً بتلابيب الرحمة ولهذا عنى المسلمون وفي طليعتهم الخلفاء والملوك والامراء وارباب الثراء بتخفيف وطأة الفاقة عن البؤساء والفقراء فأسسوا التكايا والملاجيء لهؤلاء واقتطعوهم شتي الموارد وخصصوهم بأعمال الدولة التي لا بد منها كالجندية والشرطة والعسس . ولنستمع هنا الى هذا النداء الدوري الذي وجهه سيدنا عمر رضي الله عنه الى عمّاله من ولاة وأمراء في معظم انحاء جزيرة العرب فيما يتعلق بأمر العناية بمن رقت احوالهم وأملقت طاقتهم قال :

(وارفعوا عن الرعية وخاصة المعسرين ما شرعه اشرار العمال - ويعني بالعمال هنا الموظفين - من سنن الظلم وسير الغشم وما احدثوا من الرسوم الباطلة والمعاملات الجائرة ، واغدقوا على المكدوه الاجر واختاروا من بينهم المعدمين للمحاكم فلا يضام منهم كسير ولا يُدخل لهم ربع ولا يسخر من بينهم عائز ولا تباح لهم سائمة او يكلفوا بعلوفة او غرم او ميرة ولا يطالبون بضريبة ولا مكس واسهروا على معائشهم وحرفهم ، ولا تأخذوا حاضراً بغائب ، ولا بريئاً بمتهم ، ولا صحيحاً بسليم . واختاروا لمهام الخراج والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي اولئك الذين كشفت الغمة اخبارهم والمحنة ديارهم وعيالهم ، فهؤلاء اولى الناس بالتلطف بالناس عند مباشرة الجباية واستدرار الاموال بالرفق لأن في حواشيهم رقة وفي معشرهم انس فلا ينفر منهم مكلف . واتبعوا في سيرتكم مع الرعية سبيلاً وسطاً بين الاحراج والامراج وحالا اماً فوق التقصير ودون الافراط فبذلك يستغزر الفيء ويعم الصلاح ، وينعم المعوز بالرفاه ، واقيموا الملاجيء لاءرباب الفاقة الذين اصابهم حيف ، ولا تفرقوا مجتمعاً ولا تأخذوا ما حُظر اخذه من اكولة الراعي . وانظروا بعد ذلك في سبيل صرف ماتجمع لديكم طبقاً لما ذكر الله في كتابه الكريم . وارفقوا بأهل الذمة البالغين واجمعوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة على حسب احتمال احوالهم . ولا تأخذوا شيئاً من

النساء والاطفال والشيوخ والعجز وذوي العاهات والفقراء المعدمين وقد قال تعالى :

(ومن لم يحكم بما انزل الله فاؤلئك هم الكافرون)

ثم اعملوا على توفير ارزاق الجند فان في تمام ذلك انتظاماً لقوتهم ووهناً لعدوهم وعملاً بقول الله :

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

اما الايامى واليتامى والفقراء فاني اعنى بهم وارغب في رفع عواصف العوز عنهم ولديكم شتى المناهج القرآنية والنبوية فتبعوها يهدكم الله سبيل الرشاد والسلام.)

فكيف لا تستفزك عاصفة الاعجاب وعاطفة الافتتان بسحر العدالة الاسلامية والروح الاشتراكية النبيلة عند ما تقرأ كتاب امير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه الى اعماله هذا ، وانت ترى ان كل سطر بل كل كلمة منه تتضمن ابرع توجيه لنشر لواء الامن والرخاء بين الغني والفقير على السواء ، كما انها تتسامى الى امجد التعاليم الانسانية المخلدة؟؟

قال الصحابي الكريم طلحة (ر.ع) مرة لسيدنا عمر (ر.ع) عندما جاءه وفد من لدن امبراطور الروم لمقابلته وعرض الجزية عن دولة البيزانس عليه :

الا تخلع يا عمر عليك جلباباً غير هذا في حضرة الغريب ضناً بكرامة الملك وهيبته ؟ وكانت العباءة التي يتدثر بها كثيرة الخروق والرقع فاجابه :

— يا طلحة . لاخير في امارة ظاهرها بهارج فارغة وباطنها آلام قارعة . تالله لا اخلعها علىّ الا يوم ارى فيه افقرنا اسعدنا واضعفنا اقوانا يخلدان الى وفرة في العيش وامتراء للعافية فلا يلهيهما ضنك او اقتعاد عن طاعة الله . الم تسمع ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم :

(احب الاعمال الى الله تعالى بعد الفرائض ادخال السرور على قلب المسلم)

وقول الله عز وجل :

(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير) .

فدعني يا طلحة وشاءني . فهؤلاء اي (البيزانسيون) شاءنهم الدنيا ، ونحن شأننا الدين واعلاء كلمة الاسلام والفرق بعيد بيننا وبينهم ... (تأمل)

وكان الخليفة الاموي الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله ويرى في كثير من الاوقات قابعاً لمفرده في اكناف الليل بأحدى زوايا الطرق . فسئل مرة في ذلك فقال .

– اني ارابط هنا متحرياً عن الذين يكتنفهم الجوع في الليل ، ولو كنت اعلم اين مكانهم لذهبت لهم فاقتي وحملتها اليهم ارباً حتى منازلهم . اجاركم الله هل بينكم من يدلني على هؤلاء المرهقين ؟

وكان رحمه الله يجوب الاحياء في معظم الليالي وخاصة الباردة منها ، وامامه قارع على الرق (الطبل) ينادي :

(هل من معوز فيجار . او جائع فيطعم . او مظلوم فينصف ، هذا امير المؤمنين ابن عبد العزيز يشاطركم نفسه ويمد اليكم اشطان الرعاية والاستجابة)

قيل جاءه ذمي ذات يوم وهو في حالة هزيلة ورثة وقال له :

– يا عمر : لقد صبرت على الجوع طويلاً وكنت الى اليوم اتحاشى ان استجير بك وانا كما ترى احد رعاياك والداخلين في حماك فأجابه :

– مرحى يا ابن العم : هل تشك في عدل الاسلام وملوكهم وساداتهم وهم الذين لاتنطوي قلوبهم الا على عامر الايمان وسليم الوجدان والذين لا تأخذهم في سبيل العدل شفقة على مؤمن دون ذمي ، هيا فاطعموه من وفر بيت المال فهو منا وفي ذمتنا :

وخطب الخليفة معاوية في يوم جمعة بأحد المساجد قبل ميعاد الصلاة فقال :

– (ايها الناس لقد امرنا القرآن ان لا نرى في الفقر مسبة وفي الثراء

مكرمة . فالفقير والغني سواء في نظر المسلم ولهذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الفقر على الغنى ولما سئل في اسباب ذلك قال :

(وتخوشنوا فان النعم لاتدوم) .

ففي الفقر تتواضع النفس ويرق الطبع ، وفي الثراء يستفحل شر الخيلاء والعتو فلنختر وسط الامرين برفع مستوى الفقير الى ما يرفه عنه وانزال ثراهة الثري الى حدود الاعتدال . وبذلك تستقيم المساواة بين الناس) اهـ

* * * *

فيتضح من كل ما تقدم معنا ان الأسلام خصص الجانب الأوفر من اهدافه الانسانية الرائعة الى العناية بأمر الهيئة الاجتماعية البشرية واصلاح شأنها ، فبدأ بسن شريعة المساواة بين مختلف الطبقات وجعل ان لا كرامة لأبيض على اسود ولا سؤدد لكبير على وضيع ولا سلطان لغني على فقير . ولأجل ان يجعل هذه المساواة مضمونة النتائج سليمة التوجيه ربطها بأشطان قوية من جليل الاحكام وسبكها في اساليب حازمة ومرنة معاً .

وسيكون شأننا في ابواب هذا الفصل القادمة توضيح المرامي الفلسفية التي اعتنى بوضعها التشريع الاسلامي في هذه النواحي لنخرج منها الى ايضاح حقيقة الأشتراكية الاسلامية ومن ثم كيف انبثقت عنها كل المباديء الاشتراكية المعتدلة في العالم الأوربي والتي اتينا على وصفها فيما تقدم معنا . وفي اعتقادنا الراسخ ان الشيوعية التي اراد بعضهم الصاقها بالاسلام لم تكن الا عبارة عن فرية مصدرها ما قيل عن مذهب (ابي ذر الغفاري) الاباحي . وقد اصدرت مؤخراً مشيخة الأزهر بمصر الفتوى التالية التي تفند فيها هذه المزاعم وتقول جازمة بان الدين الاسلامي احترم الملكية الخاصة ، وان لكل امريء ان يتخذ من الوسائل والسبل المشروعة لاكتساب المال وتنميته حسب ما يحبه ويستطيعه وان يتمسك بهذا السبيل ما يشاء .

وتفيد الفتوى ايضاً ان ما ذهب اليه الفقهاء والصحابة هو انه لايجب في مال الاغنياء الا ما اوجبه الله من ذكاة وخراج ونفقات شرعية وكفارات وغيرها ، الا ان ابا ذر ذهب الى انه يجب على كل شخص ان يدفع مافضل عن حاجته من مال مجموع وذهب الى تحريم ادخار ما يزيد عن الحاجة ، وفى هـذا تقول لجنـة الفتوى ان ابا ذر مخطيء ومذهبه غريب ، ولكنه مجتهد مغفور له خطؤه بل مأجور على اجتهاده ولكنه لايتابع فيما اخطأ به .

وفي النهاية تقرر الفتوى ان ما قيل عن وجود الشيوعية في الاسلام غير وارد ولا يتفق مع مباديء الاسلام وقواعده ، اذ لاشيوعية في الاسلام .

نص لفضيلة شيخ الجامع الازهر

وصرح فضيلة الشيخ محمد مأمون الشناوي أمام الازهر لصحفي ابيركي عندما سأله عن امكانية انتشار الشيوعية بين المسلمين فقال فضيلته ما يلي :

اذا كان لديك من شك في استحالة انتشار الشيوعية بين المسلمين فالشك هذا يزول اذا علمت بقوة الايمان في الاسلام وبالتعاون الاجتماعي المفروض بين اتباعه فانه لمن واجبات المسلم نحو أخيه أن يمد له يد المساعدة ويحميه وينقذه من آفات الفقر وتقلبات الحياة . واذا ما اتضح لديك هذا فليس باستطاعتك التردد في الاعتقاد بان الاسلام هو الصخرة التي تتحطم عليها أمواج الشيوعية .

ولقد قلت ان الاسلام يؤمن بالتعاون الاجتماعي بين المسلمين ويقيهم العوز ويقويهم على تقلبات ظروف الحياة . اما كيف يتم ذلك فعلي الوجـــه التالي : من واجب كل مسلم أن يضع جانباً لاعمال البر قسماً من ثروته سواء أكانت من نتائج الارض أو الماشية أو الغنم أو البضائع التجارية أو المال شرط أن يبقي منه ما يسد حاجات المسلم وعياله وان يكون المسلم قد وفي كل ديونه وهذه القيمة

الموضوعة جانبا قد تبلغ ١٠ بالمائة ، اما كيفية استعمالها فمعينة محددة وهي اغاثة الفقير والمشرد والاحسان الى السائلين ومساعدة المقهورين بالدين الناتج عن سبيل غير عصيان الله ومعلوم ان الزكاة والصلاة هما من دعائم الاسلام الرئيسية . ولقد سلك الاسلام النهج الوسط الذي يحد فيه من الطغيان الرأسمالي فهو يأخذ قسماً من ثروة الغني يكرسه الحاكم للفقير والمحتاج . ويجب أن ينفق هذا ايضاً على المستشفيات ومآوي العجز والضعفاء نفيا لاسباب الشكوي والوقوع في تجربة السرقة والخطيئة . والحكومة عاملة على سن قانون للذكاة .

الباب الثاني

معنى الفقر وطبقات الفقراء

التطور الاشتراكي في الاسلام

معنى الفقر وطبقات الفقراء

(والصابرين في البأساء وحين البأس اولئك
الذين صدقوا واولئك هم المتقون !)
= قرآن كريم =

يوجد فقر ويوجد فقير ، والفقير ليس هو ذلك الرجل الذي لفظه الحرمان الى هذا العالم وجعل منه انساناً بائساً ، معدماً يجوب الأزقة والشوارع ويقرع

ابواب الناس طالباً صدقة ومستجدياً اكف المحسنين الذين رتعوا في اكلاء النعم .

والفقر ليس هو ذلك الداء وتلك الجائحة التي تجعل من بعض الناس مستعطياً وبائساً ينتظر رحمة من عابر سبيل أو عطفاً من فاعل خير نزت به نوازي البطنة والاستمراء ، فالفقر هو ما شمل النفس في كل شيء . اي ان هنالك فقراً في الاخلاق وفقراً في العلم وفقراً في الدين وفقراً في الدم والقوة وكل ماله صلة بحياة الانسان مادية كانت أم دينية أم أدبية ، وقد يكون آخر انواع الفقر ، فقر المال .

ان الفقير الحقيقي هو ذلك المعدم الذي يتفادى التبذل ، ويتجلبب حلة الرضي ويتظاهر ببرئه من عوادي الجوع الصليبة والرضوخ لتصرفات الدهر وهناته ، فلا يدع ظاهره ينم عن باطنه ، وعندما يخرج من بيته المتهدم العاري في طلب فرجة يلج منها الى ما ينفث عنه الكرب والأسى ، فأول ما يفعله ان يرفع رأسه الى السماء ويزفر زفرة ان اصاب حرها زبر الحديد الهبها وجعلها جمراً وسعيراً ثم ينتحي قفراً خلى من الناس ويأخذ في مناجاة الاقدار حانقاً عاتباً وكأنه يحاول ان يتناولها من تلبابها ويقرع بقبضة من يده الواهنة صافها وشدتها عليه وعلى عياله ، حتى اذا انتهى من هذا الصراع الذي لا يجديه فتيلاً قام فاصلح من هندامه وكفكف من دموعه المحرقة الساكتة وراح يزرع الشوارع وقد بدت على وجهه النبيل اثار المعركة القائمة بينه وبين الجوع والضنك ، ولكنه يحاول ان يمشي رافعاً هامته ، باسماً ومحيياً هذا وذاك من اصدقائه حتى لا تتم مظاهره عن سرائره وآلامه ، ولاسيما عندما يفكر بأنه ترك وراءه اطفالا تعول وتبكي من الجوع !!! فيجوب الاسواق والازقة ودور الحكام ويجوب الاطراف والأعراف والضواحي والمنعطفات ، ويظل يجوب ثم يجوب لعله يعثر على صديق

يقرأ في ظاهره ما انطوى عليه باطنه من فاقة محرقة وجوع سفاك حتي يأتي المساء فان عثر على درهمين ساقتهما اليه في الخفاء يد صاحب محسن هرع بهما الى عياله وهو يعلم انهم ينتظرونه على احر من الجمر وقد وهنت أرواحهم وجفت آماقهم والتصقت بطونهم في ظهورهم من الأملاق ، وان حال الحياء والشمم والتعفف بينه وبين العثور على لقطة أو درهمي صدقة مشى على غيره دى وهو يزور الطبيعة ويرنو اليها بقلب كسير قائلا :

كيف أعود الى اولئك البؤساء وأنا خالي الوفاض ، ترى أيسوقني القدر المحتوم الى ارتكاب احدى البادرتين ، الانتحار أو قطع السبل على المارة وكلتاهما تحملان شر ما ترسمه الفجيعة من مصائر وهما (الموت أو السجن ...) ؟ وماذا يصنع الدهر بعد ذلك بأفلاذ كبده ؟ وبعد كفاح مرير مع نفسه الشريفة العتية يعود القهقرى الى المدينة وقد هيض جناحاه وانتكس رأسه الى الارض آخذاً في تموين نفسه طيلة الطريق على اساليب (الاستعطاء) وهو يرى ان هذا هو المنون بنفسه ودون تعاطيه اجهاد الاباء الوريث الى ان يقف على باب احدى متاجر كرام الناس طارحاً السلام بوضع اصمه الاسي وارتسمت على وجهه استكانة المعوز الضليل ... حتى اذا تفهم صاحبه غرضه احسن اليه سراً ووقاه شر ما ينزع اليه الانسان في حالة تخطيه آخر مراحل البؤس . فيعود بهذه الصدقة الضئيلة الى عياله وقد حطمته رعونة الدهر وجور الاقدار ...

هذا هو الفقير الحقيقي الذي تلفت مكارم الاخلاق الاسلامية النظر اليه والعناية بأمره بعد ان اقعده تعففه عن التبذل وحسبه الناس فى سعة من العيش ، كما اشارت الى ذلك لآية الكريمة التي توجنا بها صدر هذا الباب القائلة :

(والصابرين في البأساء وحين البأس)

وكما نوهت بذلك أيضاً الآية التي زينا بها صدر الباب السابق والقائلة :

(للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض

يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فان الله به عليم .)

هذا والجميل في الاشتراكية الاسلامية انها تمثل الطبقات الفقيرة فيها ، اي انها تجتذب الفقر اليها لتبيده وتذيبه في محيط قواعدها المستمدة من الشرائع الاسلامية السامية التعاليم وتحوله الى رخاء فتتوسطه بسطة في العيش ، ومتعة في الحياة .

اما الاشتراكية الحاضرة المنتشرة في اوربا وغير اوربا اليوم - وان كانت في الاصل مستمدة التعاليم من الاشتراكية الأسلامية — فأنها هي التي تكوّن الاتجاه الاشتراكي في العناصر الفقيرة والعمالية ، وتوجهها في طرق حزبية لتصل منها الى الترفيه عن الفقراء في الظاهر . ولكن اذا تعمقنا في دراسة اهدافها المتوارية وراء هذه الظواهر نجد انها ترمي في نفس الوقت الى اهداف سامية تكون على الغالب ذات اغوار سياسية عميقة .

فالاشتراكيون المعتدلون يستهدفون اصلاح شؤون المجتمع البشري بالطرق السياسية والوسائل الاجتماعية معاً ، اما الاشتراكيون المفرطون فيرمون في خططهم الى اضرام ثائرة الثورة العامة فى مختلف انحاء العالم حتى لا يبقى هناك هدف اشتراكي بعد ان ينسجم المجموع في سوية مادية واحدة. ومعلوم ان الحمل او الاكراه على قبول الشيء لا يفيد معنى التمثل به والرضوخ اليه عن طيبة خاطر.

والمعنى من كل ما تقدم ان هناك ثلاثة مذاهب اشتراكية:

الاول . — المذهب الذي عنى به الاسلام وهو دفع الفقر والعوز عن مجامع الناس بتمثيلها في البيئة الاسلامية كعناصر لا تحوجها الفاقة الى امر من امور الحياة بل تستطيع ان تتناوله بأهون الاسباب وذلك بفضل المنابع المادية التي اوجدت لتأمين هذه الغاية وقد اشرنا اليها فيما سبق كالذكاة ، وغنائم الحرب ، والكفارات والخراج ، واجزاء الميراث ، والملاجيء والتكايا وغيرها وغيرها مما سنتكلم عنه في الباب القادم بتفصيل كافي .

الثاني – المذهب الاشتراكي المعتدل والمعاصر في ديار الفرنج ، وهو بعكس النظرية المتقدمة يمثل نفسه في صفوف الناس وبيئاتها كحزب يرمي الى اغراض اصلاحية شتى ولكن عندما تبدو الحقائق جلية يتضح ان للسياسة باعاً طويلاً وشوطاً كبيراً فيه ، فهو والحالة هذه مهدد بتطور اجتماعي كبير ربما نزع عنه لون الاشتراكية الرحيم وابدله باتجاهات سياسية نفعية لا اثر للروح الاشتراكية فيها.

الثالث. – المذهب الاشتراكي المفرط او الشيوعي فأنه يمشي الى الاشتراكية بخطى واسعة ، اي انه يريد جعل مجموعة البشر مرتبطة بنظام تقنيني تصطبغ كلها بلونه العجيب ! ! وهنا يستطع الانسان ان يستخرج بكل سهولة النتيجة التالية وهي انه بعد ان يصطف الخلق في طابور طويل واحد او موحد ، فهل من المنطق ان نقول بعد ذلك مثلا عن فريق منه انه ابيض اللون وان الاخر اسود، وان الثالث غني ، وان الرابع فقير ، وان الخامس دموقراطي ، وان السادس اشتراكي ؟ ؟

كلا على ما نعتقد ! ! فطالما ان هذه الاجزاء ستتكتل وتذوب في كينونة واحدة . فما معنى توجيه مختلف النعوت اليها ؟ فلا ريب اذن انها ستوصف بنعت واحد وهو الشيوعية في نظر الشيوعيين ولكن في الحقيقة انها ستكون من نوع الـ (CRIACISME) اي التنكرية او الانعدامية . ورحمة الله بعد ذلك على (الاشتراكية) والقائلين بها ! ! !

فاذا قابلت بين هذه المذاهب الثلاثة تظهر لك فضيلة كل مذهب وتفوقه على الآخر . وهل ثمت من ريب في ان المذهب الاسلامي يتفوق في شتى النواحي بسمو تعاليمه واهدافه ؟ تلك الاهداف التي تجعل الفقير منعما والمنعم مطمئناً على ملكه وثروته والبيئة بمجموعها متراصة متماسكة لا حاسد ولا محسود الا في التقي ولا سائد ولا مسود الا في دائرة النظام فالكل جزء تام ، وهذا الجزء هو الكل في الكل .

كلمة حق

وهنا نريد ان نسوق كلمة حق لمسنا اشعاعها في ديجور هذه النزعات الاشتراكية المختلفة ، الا وهي تفهم حزب العمال الانكليزي لمعنى الاشتراكية الصحيحة واقترابه من المباديء التي سنتها كتب الله في صدد الترفيه عن الطبقات المعسرة وجعل مبدأ (الاشتراك) بريئاً من النعرات الفاسقة والاغراض النفعية واليك الشاهد الحسي على بعض هذه الاتجاهات النبيلة التي يتمشى عليها حزب العمال المذكور .

تقرر ان تتلقى كل ام في بريطانيا من الدولة منذ آب سنة ١٩٤٦ ، بصرف النظر عن دخلها ، خمسة شلنات في الاسبوع (٢٥ قرشاً) عن كل طفل من اطفالها تقل سنه عن خمس عشرة سنة (وهي سن التعليم الالزامي هناك) وذلك باستثناء الابن الاكبر فسواء اكان الطفل لا يزال في المدرسة او يعمل صبياً في مصنع فان هذا التعويض يشمله الى ان يبلغ السادسة عشر . وليس على الام في هذه الحالة الا ان تملأ استمارة خاصة يعتمدها طبيب أو أحد رجال الكنيسة أو أي شخص آخر مسئول ثم تقدمها مع شهادات الميلاد الخاصة باطفالها الذين يشملهم ويرعاهم هذا المشروع الى وزارة التأمين القومي البريطانية فترسل الى الأم بطاقة للاعانات يمكن صرف المنحة بمقتضاها كل اسبوع من أقرب مكتب للبريد .

وقد تم تنفيذ مشروع الاعانات العائلية هذه بعد جهاد استمر سنوات طوال فقد اوصى لورد بفردج بدفع هذه المنح في التقرير الذي اعده عن التأمين الاجتماعي وقدمه للحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية فقبلت هذا المبدأ ووافقت على ان تتحمله خزانة الدولة لا ان يتوقف ذلك على التأمين .

هذا وقد وضعت مشروعات اخرى لتوفير بعض الخدمات الاجتماعية لكل

طفل دون مقابل علاوة على المنح العائلية ويصرف اللبن للاطفال بالفعل في المدارس دون مقابل منذ ان بدأ العمل بمشروع هذه المنح وتوفر الدولة كذلك العلاج المجاني للاطفال في المدارس بمقتضى قانون التعليم وسوف تزداد هذه الخدمات وفقاً لمشروع الصحة القومية الذي يبدأ العمل به في حزيران سنة ١٩٤٨

وقد بلغ عدد العائلات التي تتمتع بهذه المنح في بريطانيا في سنة ١٩٤٧ — ١٣٦ر٧٠٠ر٢ عائلة عن ٦٨٨ ٢٧٣ ٤ طفل تكلف الدولة ٩٤٤ ٥٥٧ و٥٥ جنيه استرليني في السنة .

والسبب في اعطاء هذه المنح هوان العائلات التي يكثر عدد أفرادها تكون عادة عاملا من عوامل الفقر كما انه حتى في العائلات ذات الدخل الكبير يميل مستوى المعيشة الى الانخفاض كلما زاد عدد افراد العائلة ومهما يكن من امر فان مثل هذه العائلات الكبيرة تكون في الواقع مغبونة اذا ما قورنت بالعائلات الصغيرة كعائلة مكونة من زوج وزوجه أو شخص غير متزوج له نفس الدخل .

والهدف الاساسي الذي يرمي حزب العمال من وراء هذه المنح هو محاولة التخفيف عن كاهل العائلة الفقيرة بمنحها مبلغاً من المال يزيد دخلها فتتمكن من مواجهة ما عليها من اعباء المعيشة وهذا يفيد كل فرد من افراد العائلة سواء في ذلك الوالدين او الابن الاكبر أو الاطفال الذين تصرف هذه المنح لهم .

وفضلاً عن هذا فقد اصبح كل رجل وامرأة وطفل في بريطانيا متحرراً من الحاجة . ولا يسمح لاية عائلة في البلاد بعد هذا التاريخ ان تخشى مرضاً مفاجئاً تعقبه لائحة بحساب طبي تهد كيان البيت الاقتصادي . ولا حق لاي مريض في ان يظن ان خلو يده من المال يمنعه من الحصول على أفضل المعالجات الطبية .

اذ صار قانون التأمين الصحي البريطاني نافذ المفعول . وفيما يلي امثلة تبين كيفية سير هذا القانون الذي يمكن ان يصبح مثالا لسائر الامم تنسج على منواله .

ولنأخذ مثلاً (جون سميث) كمواطن قياسي لسواه من المواطنين وهو متزوج وله ولدان . فهذا الرجل وجميع افراد عائلته يظلون كالسابق يستعينون بطبيب

العائلة وخدماته والفرق الوحيد ان الطبيب لن يبعث الى سميت بقائمة حساب ، لان الحكومة تتكفل بذلك واذا احتاج أحد افراد العائلة الى تطبيب في المستشفى او الى عملية جراحية أو أدوية فانه سينال طلبه مجاناً . كذلك اذا احتاج الى معالجة اسنانه أو الى وجبة او الى معالجة نظره معالجة اخصائية أو الى نظارات فانه يحصل عليها دون مقابل . وستتوقف الرسوم التي تفرضها ادارات المستشفيات ابتداء من اليوم الخامس من تموز ١٩٤٨ .

واذا ولدت السيدة سميت طفلاً جديداً يحق لها ان تتصرف بخدمات الطبيب الاخصائي والقابلة في اثناء الولادة مجاناً فضلاً عن عنايتها بها قبل الولادة وبعدها .

وفي اليوم الذي يولد فيه الطفل تمنح السيدة سميت منحة الولادة وقدرها ٤ جنيهات . واذا كانت تمارس عملاً ما في حالتها الطبيعية يضاعف لها ذلك .

وبالأضافة الى ما تقدم تحصل على ٥ شلنات في الاسبوع على أساس العلاوة العائلية الى ان يبلغ الطفل سنته السادسة عشرة .

ولو فرضنا ان سميت ينتمي الى فئة العمال ففي حال مرضه يحق له الحصول بالاضافة الى العناية الطبية الكاملة تعويض مرض يبلغ ٢٦ شلناً في الاسبوع ١٦ شلناً لزوجته وسبعة شلنات ونصف الشلن لبكره .

أما باقي الاولاد فيحصل كل منهم على العلاوة العائلية البالغة ٥ شلنات في الاسبوع

ومتى توفى سميت تحصل ارملته على علاوة الترمل وقيمتها ٣٦ شلناً في الاسبوع لمدة معينة مع زيادة ٧ شلنات ونصف الشلن مخصصات لولدها القاصر ، وعندما تنتهي مخصصات الترمل المضمونة تتناول مخصصات جديدة تسمى مخصصات الام الارملة وقدرها ٣٣ شلناً ونصف الشلن اسبوعياً لها ولولدها معاً الى ان يبلغ الولد رشده .

هذا ولم يغفل القائمون برسم المشروع البريطاني مسألة جوهرية جداً وهي ان تدفع الدولة ٢٠ جنيهاً كنفقات وفاة ، ومشروع الضمان هذا يشمل جميع القضايا والحالات .

فتأمل في هذه التدابير الاجتماعية الاشتراكية السليمة التي يلجأ حزب العمال في انكلتره الى تطبيقها على الشعب لتتلاشى من بين ظهرانيه الميول الشيوعية والاباحية ، وبالتالي الفقر والسخيمة ، وانت ترى بانها في جوهرها لا تفرق ذرة واحدة عما لجأ اليه الاسلام في مكافحة الفقر واستئصال عواديه الفتاكة .

اجل فقد سبق للاسلام ان امر بهذا كله اي في تأسيس صناديق للايتام خصص ريعها للانفاق على اكساء الاطفال اليتامى وتعليمهم والترفيه عنهم وتأسيس الملاجيء لأيوائهم لتنمو جموعهم وتخصب من ورائهم مرافق الاعمال والانسال والذراري بدلا من أن تقرضهم ايدي الاهمال . وقد يكون في المشروع الانكليزي فكرة تعميمية تشمل اليتيم وغير اليتيم من الاطفال ومن العوائل المحتاجة . ولكن المشاريع الاسلامية في هذه الناحية تتخذ وجهات اخرى للوصول الى سلامة الافراد والجماعات واكثار النسل ودفع العوز مثل تعدد الزوجات ، وتأسيس الاماكن المجانية لتوفير جميع اسباب الراحة والطمأنينة للمعوزين ، وكيف لا ومبدأ تكاثر النسل وحمايته هو في طليعة الاهداف الاجتماعية العليا التي منحها الاسلام عظيم اهتمامه ؟

الاشتراكية الاسلامية ينقصها التنظيم

خلاصة القول ان التطور الاشتراكي في الاسلام اتخذ منذ بدء امره شكلاً فلسفياً اجتماعياً واهدافاً دينية وسياسية لا نرى بداً من الاشارة اليها هنا قبل ختم هذا الباب .

فالناحية الفلسفية الاجتماعية تتمركز على اساس توطيد دعائم الدين في محيط حشوه الجهل والجاهلية ، فلا بد من مكافحتهما بالطرق التي لا تتجافى في ظواهرها مع اخلاق وعادات وطبائع أهل الجزيرة العربية الذين كانوا يغرمون بالشعر والبلاغة فأرسل عليهم ابلغ كلام وبعث فيهم افصح نبي . وكانوا يتعشقون الآباء

والشجاعة والكرم واغاثة الملهوف فحضهم الرسول صلى الله عليـــه وسلم على الجهاد الذي تبرز فيه خصال الشجاعة والفروسية بأجل معانيها وساير عاداتهم التي ترمي الى الشمم فخاطبهم بقول الله :

(كنتم خير امة اخرجت للناس)

اما في صـــدد الكرم واغاثة الملهوف وهو اللون الاشتراكي الذي نحن بصدده فقد عمم الاسلام بين العرب فكرة اغاثة الملهوف بشتى المناسبات حتى وصل الحال بسادات القبائل وامرائها واغنيائها ان كانت هباتهم تفوق المفروض عليهم ديناً اضعافاً مضاعفة وكثيراً ما كانت العطايا تتخذ شكل التسابق اليهابين هؤلاء المنعمين ، حتى جاء يوم لم تعد ترى فيه اثراً للفقر والفقراء في ارض الجزيرة الواسعة الاطراف .

واما الاهداف الدينية والسياسية فأنها تأخذ تفاعلها داخل الجزيرة العربيـة وخارجها . فالاسلام كان يبغي التوسع وسرعة الانتشار على ان يكون ذلك جميعه موشحاً بأكاليل العدالة والرفق ومكارم الاخلاق وحب الفقير واسعاف البائس واليتيم وحاضاً على نشر لواء العلم واليقظة وحفظ الصحـــة والعمران والامن والنظام . ومن حسن الحظ ان جميع هذه الاهداف النبيلة كلها قـــد تحققت بفضل وعي الرسول الاعظم (ص) ومواهبه السامية ومعاونة انصاره وصحابته الاماجد (ر.ع) . ولا غرو :

فان الناس والدنيا طريق الى من ماله في الناس ثاني

وظل هذا التطور يتمشى على وتيرة واحدة في معظم العصور الاولية التي بزغ فيها النور المحمدي الى ان دخلت الحضارة الاسلامية في ادوار الانحطاط ، فشن الفقر على مختلف الديار التي تدين بهذه الحضارة غارة شعواء حتى اشرفنا على ظروف التطور السياسي في اوربا وماتلاه من ارتقاء في شتى مرافقها ومناجعها ، فأخذنا نرى عندئذ ان هنالك حاجة ملحة تدفعنا الى اقتفاء اثرها في كل ما يتمشى

مع شرائعنا وعاداتنا ، وما يمتزج في اخلاقنا . وما عتمنا ان شعرنا بان السواد الاعظم في ربوعنا يشكو العطالة والفقر . فالتفتنا لنرى ما ذا صنعت اوربا في سبيل معالجة هذه الآفات فرأيناها تعني بأمر العاطلين والبؤساء عن طريق الاحزاب الاشتراكية عناية متفوقة ومنظمة كل التنظيم .

فأدركنا عندئذ ان ما اقتبسته اوربا عنا من المباديء والتعاليم العاملة على ترفيه شأن العمال الفقراء ولو كانت قد اتخذت فيما بعد الواناً تخالف القواعد الاسلامية من وجوه عديدة الا انها على كل حال تواصل دوماً مكافحة العسر والعوز بنصيب كبير من الجهود بينما راحت هذه الفضيلة تختفي من بين ظهرانينا ويتسع مداها وتعم فوائدها في العوالم الغربية ، الامر الذي يحملنا على القول بأنه يجب الالتفات الى هذه المعضلة الاجتماعية الكبرى وايقاظ الروح الاسلامية القديمة لمعالجتها بعد ادخال ما تقتضيه العادات والظروف من تنظيم وتركيز وذلك كما تفعل اوربا بتخصيص دائرة حكومية لها ترتبط في مديرية الاوقاف مثلاً ويوضع لها من القوانين ما يحصن الموارد التي سبق واشاعها الاسلام مع ماتخصصه خزينة الدولة لهذه الغاية من هبات ، ولابأس من اشراك نقابات العمال والاحزاب الاشتراكية في هذه التشكيلات الانسانية النافعة وسنزيد ذلك ايضاحاً فيما سيلي .

الباب الثالث

شرح منابع التعاون الاجتماعي الاشتراكي

في التشريع الاسلامي

كلمة توضيح

انني شخصياً اكره الحزبية ولا اميل اليها لأن بلادنا لاتتحمل - وهي لم تزل

في دور نشأتها - وطأة التموج السياسي الذي ينبعث من تضارب ميول الأحزاب المختلفة وبرامجها العديدة الألوان والنزعات . فمن المستحسن جداً ان نقلد اوربا في كل شيء تهتضمه شرائعنا وعاداتنا واخلاقنا ، الا الحزبية فأنني أراها تضر ولا تنفع بلدنا الفتي الذي يحتاج الى شمل غير شتيت ، وتكتل عامر بقوة التضامن لتتم له جولة التركيز والتثبت بأطمئنان وهدوء . لذلك رأينا في جملة ما تكلمنا عنه في الباب السابق فيما يتعلق بالتطور الأشتراكي في بلادنا على النحو التصوفي الأسلامي ان لانلجأ الى الحزبية في مماشات هذا التطور وايصاله الى الهدف المنشود.

فالعناية بأمر طبقات العمال والفقراء والعاطلين واجب لا بد من ادائه كي لاتنزع الجماعات المنردية بويلات العطالة وضيق العيش الى الانحدار في خضم النزعات الاشتراكية المتطرفة والترامي في احضان الفوضى والأباحية تساعدها على ورود مناهلها السامة دعايات المقلقين الثوريين ... فهذه انكلتره مثلاً لأجل ان تقف في وجه هذه الكوارث المهدمة لجأت الى معالجة موقف العناصر المثقلة والمرهقة فيها بكل الوسائل المادية التي تخفف عنها بادرة العوز واليأس . وقد اشرنا الى ذلك فيما سبق مفصلاً بالأرقام يرافقها حكمة التدبير وصحة الاساليب.

وعندنا ان الالتفات الى هذه القضية الاجتماعية واعارتها كل الاهتمام لايختلف ولا يقل اهمية عن الاهتمام بأي شأن من شؤون الدولة . فكما يلزمنا وزير للمعارف مثلا وسفير لباريز ومدير للاوقاف وامين عام للاقتصاد ونواب للبرلمان وخزينة للمال وبلديات للمدن وجابي للضرائب وطبيب للشؤون الصحية كذلك يلزمنا ارسال نظرة الى شؤون العمال والعاطلين والفقراء بعين لازمد فيها ووعي لاهوادة فيه ونعمل على احداث دائرة او وزارة (وهذا الأصح) للشؤون الاجتماعية ينحصر همها في :

١- تنظيم النقابات .

٢- السهر على شؤون الايدي العاملة وتوجيهها ومعاونتها .

٣- تشغيل العاطلين .

٤- اغاثة الفقير واباده الفقر بشتى الطرق التي لجأت اليها معظم الدول الأوربية وبالدرجة الاولى انكلتره ومن الدول الشرقية مصر والباكستان وتركيا وغيرها.

٥- حصر الموارد التي خصصها الشرع الاسلامي لهذه الغايات وتوسيع نطاقها وتحسين مواردها وصرفها في السبل المؤدية الى هذا التنظيم والترفيه .

٦ مكافحة الأمية والقضاء عليها .

٧- استئصال البداوة واقتلاعها من جذورها (ولنا مقترحات قيمة في هذا الصدد بكتابنا البعث قد تفيد في حالة الرجوع اليها .)

ولا ريب ان الذين تفضلوا وطالعوا هذا الكتاب قرأوا الرسالة الدورية التي بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه الى الولاة والاجراء في الطرق الواجب اتباعها لازالة الغبن والضنك عن الطبقات الفقيرة وحدها بجميع الوسائل التي ترفه عنها وتجعل لها مخارج يسر يُزال معه كل عسر . ومن هو عمر بن الخطاب؟ اليس هو جد من الجـــدود الاولين الكرام لنا ؟ افلا يجب ان نمشي على غرار مناهجه الانسانية الادارية الحكيمة ؟ ثم الا يجب ان نلتفت ايضاً او بالدرجـــة الاولى على الاصح الى مايقوله القرآن والنبي (ص) في هذا الصدد ؟

وها نحن اولاء نستعرض هنـا الابواب التي فتحها الاســـلام على مصاريعها لتكون المتكأ والنواة لمد ايدي الاسعاف للمعوزين الذين ربما حول الفقر الايمان الذي يتحلون به الى كفر وقلب صبرهم الى نشوز وفوضى ... ولله در من قال :

فأن كنت مأكولا فكن انت آكلي والا فأدركني ولمـــا أمزّقِ

١- الزكاة

وهي اول ركن من اركان الصدقة المفروضة في الاسلام والتي خصصت لدفع

بعض الملمات عن عاتق الفقير . ونحسب انه لو اتيحت لها يد قادرة لجمعها ضمن نطاق قانون خاص ـ كما نفعل في جباية ضريبة الدخل من الاثرياء والتجار واصحاب المعامل مثلاً ـ لامكن جمع مئات الالوف من الليرات . فبدلا من ان تذهب اليوم هدراً ولا يُعلم كيف صرفت او كيف استُفيد منها تجمعها عين ساهرة ويحفظها قانون مبرم ويوجهها في الطرق الخيرية التي عددناها آنفاً والتي يفيد منها كل عاثر وعاطل وبائس .

والغريب ان اكثر دول اوربا لجأت الى تطبيق بعض القوانين المالية في بلادها وهي تشبه ضريبة الزكاة عندنا من كل الوجوه فى الكيفية . مثل الضريبة المطروحة على الثروات ، فانها تتيح لخزائن هذه الدول موارد هائلة تنفقها في وجوه اصلاحية وعمرانية شتى مثل الخمسين مليون ليرة التي تخصصها انكلترة في كل سنة لتنفق على المثقلين بما فيهم العوائل المعثرة والمعيلة فقد أخذتها من خزائن الاغنياء وانفقتها على جموع الفقراء . ولم تكن الحكومة هنا سوى قوة مباشرة للقبض من جهة والدفع من جهة اخرى .

فهذه البحوث المتعلقة بفلسفة الروح الاشتراكية نظرياً وعملياً لم يسبق الاسلام اليها سابق . ولكن مع كل اسف نجد ان الذين تلقفوا تعاليمها وانكبوا على تطبيقها هم غير المسلمين ... فاذا رجعنا الى اسباب ذلك نجدها في الاصل ناتجة عن كثافة الوعي لدى قوم وضآلته أو بالاحرى انعدامه لدى آخرين . مع ان القضية لا تتطلب اكثر من ان يعيرهـا المهملون وهم نحن بالطبع شيئاً من اهتمامهم كما يهتمون مثلا في انتخابات البرلمان والتصنيفات والتوظيفات وكل مايمت الى ذلك من مظاهر النفعية والشؤون الذاتية ولا يجب ان تنسى ان هـذا الاهتمام يفرضه علينا من ناحية ثانية الدين قبل ان نفرضه علينا الحاجات المدنية الاخرى .

ان فلسفة فريضة الزكاة تشبه من كل الوجوه عملية التبخير التي تقوم بها

حرارة الشمس القوية حيث تلقي اشعتها الشديدة الحرارة على مياه البحر لتمتص منه بطريقة التبخير الامواه الكثيفة ، ولكنها لا تلبث ان تعيدها الاجواء اليها مدرارة كما استطارتها الياشماعاً ودخاناً . ولكن كان من نتائج هذا (التكتيك الفيزيكي) ان استفادت المهامه والبطـــاح والحقول والغابات والحيوانات والبشر والمدن والانهر من هذه العملية الآلية فوائد زراعية واقتصادية وصحية وحيوية لا تحصى .

وهذا شأن الزكاة على التمام وحرفاً بحرف . فانها تؤخـــذ من خزينة الغني وتعطي الى الفقير الذي يعود فيقف بها امام حانوت او حقل الاول ويبتاع منه بذلك المال الضئيل حاجياته الضرورية وهكذا يتم تبادل الانتفـاع بين الجانبين بدون ان يقع اي ارهاق او اسفاف لأي كائن كان . وفوق هـذا فان هنالك شخصاً معنوياً ثالثاً تلحقه فوائد جلى من وراء هـــذا التكتيك المتقن الا وهو خزينة الدولة التي تتوفر لهـا موارد لا بأس بها سواء أكانت باسم ضريبة الدخل او سواها .

وهكذا ترى ان عملية الزكاة تراوحت بين النفع للخزينة وبين المنتفع الفقير وفي النتيجة افاد منها النافع الواهب في وجهين . اكتسابه اولا ثواب الخضوع لاوامر الله وثانياً دخول مورد جديد على تجارته ، والفطرة هذا شأنها ايضاً على وجه التقريب فلا نفرد لها بحثاً خاصاً . وانما كل ما يلفت النظر فيهـا انها تجيء بظروف عسيرة على البؤساء ، اي على ابواب الاعياد فتجبر الكسر وتلطف من حدة الضائقة والبؤس على ضآلتها .

٢ - غنائم الحرب

اصطلح الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعـــده الصحابة الكرام والخلفاء الصالحين على ان تُقتسم غنائم الحرب في وجوه ثلاثة . الاول - بيت المـال .

والثاني ـ قواد الحرب وجنوده . والثالث ـ بقية توزع على الفقراء . فعندما تجل وتتضخم هذه الغنائم ينعم الفقراء ورجال الجيش ومعظمهم فقراء ايضاً بأيام سعيدة جداً ، وتنعم البلاد بالتالي بالخيرات الكثيرة من وراء ذلك ، لان قضيتي العرض والطلب تكثران ويكثر معهما البيع والشراء والربح والفوائد المادية العديدة . ولذلك فقد كانت ايام الجهاد عند العرب اعياداً وعهود افراح لانها تجر في نتائجها المباركة تلك الفوائد العديدة التي اشرنا اليها بما يضاف عليها من المثوبة والتقدم بها زلفي عند الله فضلاً عن الاعتزاز بطلعة الفتح والنصر والسؤدد .

واليوم ، فلا حروب ولا غنائم فيمكن استبدالها بأفراز جزؤ من ارباح المعامل المختلفة التي يلحظ ان تنشأ في البلاد . فتكون مورداً ثابتاً تسجله المراجع المختصة كايراد باسم المحتاجين والعاطلين الفقراء ، وهذا على ما نظن احد قواعد التأميم الذي لجأت اليه حكومات انكلترة وفرنسا وروسيا الاشتراكية الحالية . اي وضع اليد على المصانع والمعامل التي لا ترى دولة العمال بدأ من استثمارها لنفسها تمشياً مع المبدأ الاشتراكي الذي تسير عليه . ومعلوم ان مبدأ التأميم ينتهي في صالح طبقات العمال ويحد من تضخم ثروات الرأسماليين .

وفي هذه المناسبة نرى ان هذا الموضوع يسوقنا سوقاً ملحاً الى الاعتقاد بان الروح الاشتراكية المسيطرة اليوم على انكلترة هي اسلم وانفع المذاهب الاشتراكية المنتشرة في العالم ، وفوق هذا نجد فيها نظريات كثيرة تتفق مع الروح الاشتراكية الاسلامية . واليك استعراض ذلك مع مقابلته بما اتفق ان تواضع عليه الاسلام بالصدد نفسه .

١ ـ توسع نطاق مخصصات الاسعاف للمعوزين في ميزانية الدولة . ويقابله في القواعد الاسلامية المتابع التي اشرنا اليها كالزكاة والفطرة والخراج وصناديق الايتام واجزاء الميراث وسواها . اما لماذا لم يختص الاسلام بيوت المال بتحمل عبء من النفقات التي يفرض لزوم صرفها لاسعاف الفقراء وتحسين احوالهم ؟

فمرجع ذلك هو ان اموال بيت المال مقدسة عند المسلمين فلا تصرف الا فيما يعتبر ضرورياً لتقوية منشآت الدولة وتوسيع خطوات العمران ونشر لواء العلم في ربوعها ثم تحسين حالة الزراعة وتعزيز قوى الجندية . اما وسائل الاسعاف التي يجب اللجوء اليها لتحسين حالة العامل والفقير فقد خصصت لها منابع اخرى تكفل هذا التحسين وتؤمنه على وجه ما تقدم ذكره .

٢ – تنفر الاشتراكية الانكليزية من الاباحية والبادرة العمالية الثورية . والاسلام يؤيد ذلك ويسهر على تطبيقه بقدر ما تصل اليه قدرة حكوماته ، يدلك على ذلك تنفر العالم الاسلامي من المبادىء الشيوعية ومكافحتها بكل وسيلة ومناسبة .

٣ – تعلق الاشتراكية الانكليزية بروح الشورى والدمقراطية المنبثقة عن الاشتراكية المعتدلة. والاسلام قال بذلك قبل ان تخلق روح الشورى في العالم كله. ويكفيك لاجل ان تتثبت من هذا المبداء الشريف ان ترجع الى آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . كقول الله عز وجل (وامرهم شورى بينهم) و (شاورهم في الامر) . وقول النبي (ص) . (اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم. وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها) . وفي هذه الايات والكلمات الطاهرة القدسية ، لا تتجلى فقط روح الشورى وحدها ، بل وتضاف عليها روح الدموقراطية والمبادىء الاشتراكية البريئة .

٤ – التأميم في المبادىء الاشتراكية الانكليزية . وتذكر شتى التواريخ الاسلامية وفي مقدمتها (المقريزي) ان جميع مصانع السفن والاعتدة الحربية وبعض دور الصناعات الاخرى كانت بيد الدول الاندلسية المتتابعة وتحت تصرفها حيث كان يشتغل فيها الالوف المؤلفة من العمال. حتى ان بعض الدول الفرنجية كانت تستصنع سفنها الحربية والعادية في مصانع الدولة الاسلامية الكائنة في جزر القمر التابعة للاندلس والكائنة في بحر المحيط الاطلسي.

٥ – تأسيس الملاجيء بكثرة تحت عامل الفكرة الاشتراكية في عهد وزارة

العمال الانكليزية الحالية . ومن ليت شعري سبق الاسلام في تأسيس الملاجيء للفقراء من ابناء البلاد ؟ حتى ان الروح الانسانية الاسلامية تخطت هذه الحدود واضافت عليها مأثرة كريمة اخرى الا وهي تأسيس التكايا لايواء الاغراب واللاجئين الى ديارنا من خارج البلاد . ولاجل ان تعلم مبلغ اهتمام الدول الاسلامية في الماضي والحاضر بأمر هذه الملاجيء والتكايا . نذكر لك انه يوجد منها اليوم في دمشق والقاهرة واستنبول وبغداد ومكة والمدينة والقدس وسواها من المدن الاسلامية الكبرى ما يعد بالالوف . وهي على ازدياد كلما مست الحاجة الى اضافة عدد آخر عليها . وتفهم ذلك من المؤسسات التي هي من هذا النوع والتي اقيمت حديثاً في دمشق والقاهرة كملجاء العجزة والمواساة في الشام ومبرة محمد علي وفريال و غيرهما في مصر

٣ - التكايا والملاجيء

المعنا انفا وفي كلمة موجزة الى الاهتمام الكبير الذي توليه الامم الاسلامية الى تأسيس الملاجيء والتكايا لايواء الفقراء واطعامهم اندفاعاً وراء الغريزة الاشتراكية الاسلامية ونزولا على اوامر الله بهذا الشأن . والغاية الرئيسية من تأسيس هذه المناجع ترمي بالطبع الى توطيد مبداء الاغاثة التي لا تترك من البؤس الا الاثر الذي يحدث ذلك الفارق بين المتصدق والمحتاج . فاذا انت مررت بهذه البيوت الرحيمة تجد جمهرة من الخلق تأكل وتشرب وتكتسي وتنام في امن وسلامة لا يعوزها الا التنظيم ليقف افرادها على اقدامهم يوالون السعي للكدو العمل . وهذا ما كررنا قوله في ابحاثنا المتقدمة من ان الاشتراكية في الاسلام يحوجها التنظيم حتى تبرز ضافية القوة وطيدة القصد واسعة النفع كما هو الشأن لمثل هذه الطبقة من الدهماء في بلاد الناس .

وقد ذكر المستر (روبرتسون) (١) احد السواح الانكليز ومستشرقيهم

(١) وهو مترجم كتاب الف ليلة وليلة الى الانكليزية بعد عودته من سياحته الطويلة في بلاد الشرق عام ١٨٨٦

في جولة طويلة قام بها في مدن الشرق الاسلامية الكبيرة ان احصى عدد التكايا والملاجيء المخصصة للفقراء التي زارها في استنبول والقاهرة فبلغت ٤١٥ بيتاً قدر المقيمين فيها بأربعين الف رجل وامرأة وطفل ثم قال .

(كاد الفقر ان يكون منعدماً في هاتين المدينتين الاسلاميتين الكبيرتين ، لانني ما رأيت متسولا الا من النصارى واليهود . وادهش من هذا كله جمال العمارات المبنية لهذه المبرات . فأنها انشئت على طراز شرقي خلاب ونقشت على ابوابها من الخارج الآيات القرآنية الحاضة على فعل الخير واغاثة الملهوف والفقير بخطوط خلابة ساحرة ، اما من الداخل فكل جدرانها وسقوفها زينت بالنقوش المذهبة الفريدة الصنع . فكأنك وانت تسرح النظر في سحر صنعها تتمتع بأستعراض لوائح فنية في بعض دور الآثار ... والفت نظري بصورة خاصة انه اقيم بقرب كل ملجاء او تكية حمام وسبيل لاستقاء الماء كتب على اكثر ابواب الحمـــاميم (هنا نعيم الدنيا) وعلى ابواب التكايا شتى الايات القرآنية مثل (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) و(ان الله لايضع اجر المحسنين) و (تعاونوا على البر والتقوى) و (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم (١) وفي

---

(١) – جاء في حاشية الاميرشكيب ارسلان على كتاب (العهود والتقاليد) ان المؤلفة قلوبهم قوم من سادات العرب امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام بتألفهم اي بمقاربتهم واعطائهم ليرغبوا من وراءهم في الأسلام فلا تحملهم الحمية مع ضعف نياتهم ان يكونوا ألباً مع الكفار على المسلمين وقد نقلهم النبي (ص) يوم (حنين) بمائتين من الابل تألفاً لهم . ومن هؤلاء (الاقرع ابن حابس) و (العباس بن مرداس السلمي) و (عيينة بن حصن الفزاري) و (أبو سفيان بن حرب) . وقد روى بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم تألف في وقت بعض السادة من غير المسلمين ، فلما دخل الناس افواجاً في دين الله وظهر المسلمون على جميع أهل الملل اغناه الله تعالى عن ان يتألف مشرك بمال يعطي لظهور أهل دينه على جميع المشركين لذلك سقط سهمهم .

الرقاب والغارمين في سبيل الله وابن السبيل ...) وغيرها من الآيات الحاضة على فعل الخير والثواب الذي يلحق فاعليها عند الله) .

وقد جمع (روبرتسون) هذه المشاهدات كلها بكتابه (جولة في الشرق) تعريب العلامة المرحوم عبد الله البستاني وخفرت هذه الآيات بالزنكوغراف ووضعت بالكتاب بشكلها العربي الجميل .

٤ ـ الكفارات والخراج

كان الخلفاء الراشدون ومن تولى بعدهم شؤون الاسلام يأمرون بجباية مال الخراج والكفارات وصونها ليختصوا بها اهل الطاعة والعوز والمدنفين البائسين على ان لا يغلظ في العطاء لغير مستحقيها ولا يقطر منها على من يستحقها عملاً بالآية الكريمة .

(والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا) .

والخراج هو ما جمع من غير المسلمين من اموال بدون حرب يفتدون به انفسهم . وكانت تجمع على عهد الفتح الاسلامي الاول اموال الخراج هذه ـ وهو غير الجزية ـ بالملايين من الدنانير تصرف كلها على الفقراء والمحتاجين حتى جاء وقت لم تعد ترى فيه بائساً او مستعطياً في الطرقات . اما الكفارات فشأنها اقل من هذا . ولكنها كانت تحصي على كل حال مورداً لابأس به ينفث فيه عن المحتاجين ايضاً .

وجاء في كتاب (فوات الوفيات) ان امير دمشق (طغج بن جف) قام عام ٢٩٠ هـ لمحاربة القرامطة(١) لانهم ارادوا ان يبدلوا اوامر الله فيما يتعلق

(١) شيعة ظهرت في الكوفة عام ٢٧٨ هـ ثم استفحل أمرها وأخذت تعيث في البلاد فساداً حتى عام ٣٧٩ هـ حيث أبادهم عن آخرهم المدعو «الاصفر» من امراء «المتنفك» .

بالصدقات ويتنكروا لها ويستبدلونها بما ينتهي معه امر هذه الخيرات الى جيوبهم فلم يستطع ان يردهم عن ابواب الشام ، الى ان تألب عليهم امراء المسلمين في العراق ومصر وسوريا وشتتوا شملهم ، وارجعوا للاسلام سننه في معظم الديار التي استولى عليها هؤلاء الفساق ، الامر الذي يدلك على ان غرائز الرحمة وهي مرآة الاشتراكية كما تعلم كانت تتوافر في قلوب المسلمين الى حد عجيب وترمي دائماً الى ابادة كوارث الفقر ونشر لواء الرخاء والامن بين الناس ، وان نسينا فلن ننسى ما احاط باليهود من بلاء في ديار الاندلس يوم قاموا لبث بوادر الاحتكار وارادوا استغلال المواهب الاسلامية العلوية وكان رائدهم شيطان الطمع اذ راحوا يطوفون على البيوت وينادون (يللي عندو عتق للبيع) فيشترون الحسنات من أيدي الفقراء المسلمين بمال بخس ويحتكرونها لاجل ان يبيعوها عندما يحس اولئك الفقراء بحاجة ماسة اليها باضعاف الثمن الذي ابتاعوها به ، واذ كانت هذه الحسنات كثيرة نهض اليهم من المسلمين من ادرك اضرار هذا الاحتكار وانهالوا عليهم بالتقتيل والتشريد في يوم كان شره مستطيرا وابعدوهم من البلاد .

٥ – صناديق الايتام

انما احدثت هذه الصناديق لأجل حفظ مال اليتيم من الضياع وتنميته حتى اذا كبر وترعرع وجد أمامه رأس مال يستطيع ان يستعين به على تأمين معاشه وانماء ثروته بدلا من ان يمسي عالة على الهيئة الاجتماعية ، وكثيراً ما نجب من هؤلاء الايتام من كان له الباع الطويل في فعل الخير واشاعة شتى المآثر التي افادت منها اوطانه وابناء عشيرته . وقد انفرد الاسلام في هذه المأثرة فلا تجد لها مايماثلها عند الملل الاخرى حيث لا ضابط لأموال اليتامى الا الاوصياء الذين كثيراً ما يعملون على تبذيرها وهضمها او تبديدها في طرق غير مشروعة ...

ولنستمع مرة أخرى لامر سيدنا عمر ابن الخطاب الى ولاته وعامليه في كل الديار

الاسلامية والتي خفقت عليها راية الاسلام قال في كتابه الدوري :

(احتاطوا على اموال الايتام بالاءمناء وكلوها الى الحفظة الاعفاء لترعى هذه الاموال عيناً بصيرة وتكلاؤها همة يقظى حتى يسار فيها سيرة تثمرها وتنميها ويدبر شأنها تدبيراً يحرسها ويزيد فيها من غير ان يركبوا بها خطراً ولا يجروا عليها غرراً . وان ينفقوا عليهم منها بالمعروف ويسلكوا فيها سبل القصد . حتى اذا بلغ ارباها الحلم وآنستم منهم الرشد سلمت الأموال اليهم واشهد بقبضها عليهم . وقد قال الله تعالى عز وجل :

(وآتوا اليتامى اموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) (انه كان حوباً كبيراً.) اه

وانت تدري ان اليتيم لايعزيه على يتمه وانخفاض جناحه مثل تداركه بمقدار من المال توارثه عن ابويه فحفظ له نامياً موفوراً حتى يشتد ساعده ويرشد ، فاذا بالكارثة تخفف من وطاءتها وتحل محلها بسمة الرجاء والامل فيعكف على الجد والعمل ، وربما كان اول همه ان يجبر كسر اليتيم الفقير لانه سبق له ان ذاق مرارة هذا اليتم المرير ، ولعل هذه الوجهات الشريفة من جملة الاسرار التي اتحفنا بها القرآن الكريم . ولا غرو فقد قال جل وعلا :

(ما فرطنا في الكتاب من شيء ...)

فالاشتراكية المتصوفة البريئة تبدو هنا جلية ساطعة في تسلسل آخاذ نظيم لايرتج ولا يعوج . فكيفما قلبت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تجد ملؤها الحض على مكافحة الفقر ومناصرة اليتيم واطعام الجائع وايواء المقعد وتخصيص المنابع والأجراء للأنفاق والسهر على ذلك وكلها فضائل واوامر ونواه وتعاليم آخذة برقاب بعضها بعضاً حتى لكأنك تشعر بأن الامة الاسلامية امست بمجموعها من وراء هذه التعاليم الشريفة والأوامر النبيلة حزباً اشتراكياً موحداً لا يشذ عنه مؤمن ولا يضل عن هديه كفيف او سقيم ...

واجمل من هذا انه كان يوجد بين الخلفاء والملوك المسلمين من لم يكفه السهر

على مكافحة الفقر المكشوف واستئصاله شأفته فكانوا يتحرون عنه بأنفسهم في البيوت التي اسبل على ابوابها رداء من الصبر والتعفف فيداهمونها وهي عاثرة في هناتها وويلاتها وجوع افرادها كأنهم يطاردون المجرمين ورجال العصابات الشريرة ثم ينهالوا على هؤلاء البؤساء بالخيرات ويزيلوا عنهم الكروب والمحن . وفي التواريخ الاسلامية وقائع كثيرة عن هذا التهذيب الالهي البارع بالمكرمات والمآثر الرحمانية لو درجنا على تعداد بعضها لملأنا صفحات كثيرة من هذا الكتاب .

فلا مشاحة والحالة هذه من ان نقول بأن (غوستاف لوبون) ما كان الا محقاً يوم قال في كتابه (علم الاجتماع) :

(ان العرب هم معلمو الامم فنون التهذيب والتدريب الاجتماعي وما تلا ذلك من السنن الاشتراكية العادلة ، ومن شاء ان يتحقق ذلك فلينظر الى آثارهم في الاندلس والى تشريعهم في كتبهم المقدسة) فتأمل

الفصل الرابع

اجمال وملاحظات ختامية

لم نترك شاردة أو واردة فيما يتعلق بالنزعات الاشتراكية واتجاهاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على مختلف ميولها بين مفرطة ومعتدلة الا وأتينا على ذكرها والتعليق عليها بالتفصيلات والدراسات المسهبة . وقد اصبح في متناول قراء هذا الكتاب ان يلموا بكل النواحي المتعلقة بهذا المذهب على مختلف الوانه العديدة المتفرعة .

وفي الحقيقة وواقع الامر نعتقد بأنه لم يوضع في العربية الى اليوم كتاب يلم بالشؤون الاشتراكية ونزعاتها المختلفة ولاسيما مايتعلق منها بالاشتراكية الاسلامية مثلما يحتويه هذا الكتاب . لأننا حاولنا جهد الطاقة ان نجعله مستوفياً لكل ماقيل عن هذا المذهب ، وما هي البرامج والمناهج التي يتبعها اربابه والقائلون به . فبدأنا من لونه الشيوعي الاباحي حتى انتهينا الى الفروع المعتدلة الاخرى . ثم علقنا على جميع ذلك بما استخرجنا من دراسات علماء الاجتماع في اوربا وفي العالم الشرقي بصدد هذه الفرق العمالية حتى اذا وصلنا الى الاشتراكية الاسلامية بذلنا اكبر جهد للكشف عن حقيقتها واتجاهاتها الشريفة بما استندنا اليه على سبيل التثبيت والأستشهاد من آيات قرآنية وأحاديث للرسول المجتبى صلى الله عليه وسلم وأقوال الجهابذة المدققين والمحققين من علماء الاسلام . وغرضنا الرئيسي من كل ذلك ان نسد (مع العجز وضعف البضاعة) فراغاً في المكتبة العربية فيما يتعلق

بالشؤون الاشتراكية التي هي حديث الشرق والغرب في هذه الايام حيث تحتك فيها الآراء الاشتراكية على مختلف أنواعها بالعقيدة الدموقراطية بين دول العالم وامه .

وقد رتبنا تبويب الكتاب على وجه يجعل من يرجع اليه كمن يحمل قاموساً كلما اراد تبني معنى كلمة ما أو تفسير قضية اشكل عليه فهمها عمد الى نبش اشتقاقها وهكذا جزأنا فصول وابواب الكتاب وشرحنا جميع ما يلزم شرحه لتبرز مجموعة المذاهب الاشتراكية واضحة الخطوط والاهداف بأسلوب لا تطويل فيه يورث الملل ولا اقتصار لا يفي بالغرض . وحسبنا فخراً أن تحوذ هذه الجهود رضاهم فنكون قد ادينا رسالة صحيحة التعريف والتشريح الى العلم والى النشء العربي الذي تعوزه هذه الابحاث كما يعوزه الماء القراح ، وذلك لأجل أن يكون على بينة من امر هذه النعرة السياسية العالمية وواقفاً على صحيحها من باطلها ، والنافع ثم الضار منها بالمجتمع الانساني ، فيطرح ما كان جفاء ويتوخى الانتفاع بما كان فيه الصالح له ولأوطانه ، ومن الله وحده نسأل الهدى والرشاد للعرب والأسلام في كل ما يؤول الى الخير والسؤدد والفلاح .

* * *

لقد اصطنع بعض دعاة السوء الفرية تلو الفرية على الاسلام ، فقالوا بان بعض تعاليمه تحرض على الكسل والبطالة لان موارد الاسعاف الكثيرة التي تغدق على الفقراء وذوي الفاقة تميل بهم الى التواكل والقعود عن العمل . لأن هذه الطبقات الخاملة لاتتوخى اكثر من ان تنال قوتها ومنامتها وما يتبقى من الحاجات الضرورية اللازمة لها بالمجان وعلى اهون السبل ومتى استتب ذلك لها ترامت في احضان الخنوع والعطالة ما دامت الصدقات تنهال عليها من كل ناحية . مع ان الحقيقة هي غير هذاء لأن الأسلام حض على الجهد والسعي والعمل ضمن نطاق

مفروض من الطهارة والنظافة وحفظ الصحة ، والذي جعل نبراسه في معترك الحياة الدنيوية قول الله عز وجل :

(وان ليس للانسان الا ما سعى)

نقول ان الأسلام الذي حض على هذا واضاف عليه بأن العقول السليمة هي وليدة الأجسام الصحيحة لا يرتضي لأفراده بأن يتواضعوا على الكسل والنطف . وكل ما هنالك انه امر بمديد الاسعاف والرأفة الى البائس المقعد والمرأة المثقلة بوفرة النسل وقلة المورد فلا تمسك عن هؤلاء حماسة الكرم والنخوة . واما ما تبقى من بؤساء ذوي قوة وقدرة على العمل فأنهم يجندون الى مصانع الدولة ويساقون الى ساحات الشرف والفتح ، وقد اجمع التقدميون في العالم كـ (بول لانجفان) و (جورج كونيو) بعد دراسات عميقة للمبادىء الدموقراطية الاشتراكية في الأسلام على ان اكثر الامم حضاً على العمل هم العرب . ولولا ذلك لما استطاعوا ان يصلوا الى اسبانيا غرباً والصين شرقاً ، ولولا ذلك لما هددوا اوربا كلها بالفتح يوم وصلوا الى أواسطها قادمين من الجزيرة العربية القاحلة ، ولولا ذلك لما استطاعوا تأسيس تلك المدنية الباهرة التي قال فيها (لانجفان) :

(ان مدنية اوربا مدينة بالشيء الكثير الى العالم العربي الأسلامي الذي حفل في عصور مضت بارقى حضارة عرفها الانسان .)

فالأمم الأسلامية لا تعرف التواكل ، ولكنها تقدس القواعد الاشتراكية التي اتشحت بجلابيب الصوفية طلباً للمثوبة ونزولا على اوامر الله وتوجيه رسوله الاكرم . واذا شاهد المغرضون بعض الناس يلجاؤن في ديار المسلمين الى الكسل والخمول والتشرد ، فمثل هؤلاء كثير ايضاً في بعض بلدان اوربا كايطاليا والبلقان وروسيا ، وفي بلدان اخرى من الأمريكيات الجنوبية ، وبين الوثنيين في الهند والصينيين واهل سيبريا .

ولكنه يكفي الأسلام فخراً ان يصفه اعداؤه بمثل ما وصفه به (جاك سولومون) القائل :

(لقد كانت العصور الأسلامية الزاهرة بالعلوم اكثر انتاجاً من عصرنا المدني الحاضر ، فلم يكن يعيق سير العلم وقتئذ اي عائق مهما قوي وتصلف واستبد . لأن المجموعة الكبرى من الناس كانت تشجع العلماء وتناصرهم وتضع فيهم ثقتها حتى رأينا الحضارة في بغداد وقرطبة تسمو الى ارفع مكانة واعلى منزلة بين المدنيات العالمية التي سبقتها . وهل ادل على ذلك من وجود بعض العلماء عند العرب بلغت تآليف الواحد منهم ٧٠٠ كتاب وضعها بخط يده حيث لم تكن ثمة مطابع ... ولو وجدت هذه فكم يكون عدد مؤلفات هؤلاء الأفذاذ الكرام؟)

اذن ، وبعد هذا كله تبطل الفرية التي يريد اهل الضلال الصاقها بالاسلام . وكل ما في الأمر ان قضية ضعف الأنتاج وعدم توسع نطاق الأعمال او غيرهما من مقومات الحياة العمالية والرأسمالية هي وحدها التي كانت تحد من الجد والعمل وتكثر وما زالت تكثر من الايدي العاطلة . وهذا ما نطلب ان توضع له الحلول التي لجأت اليها الدول الدموقراطية حتى والأشتراكية نفسها . فيجب بادىء ذي بدء ان تنتقل معاملنا من حالتها الابتدائية المحدودة والتي نعرف ان قوامها اليد والجسد الى معامل تسود فيها الآلة ويتصاعد في اجوائها البخار الصاخب . فبمثل هذه الوسائل يتسع نطاق العمل فالأنتاج فالثراء فالرفاه للمجموع .

فالاشتراكية الاسلامية والحالة هذه ينقصها التنظيم كما قلنا في فصل مضى . فنريدها ان تكون اداة عاملة لرفع مستوى الحياة العامة وادخال الرفاه على الافراد والجماعات لا بشكل حزبي تتطاحن بجانبه الاجتهادات والتقلبات السياسية بل نريدها ان تبرز بشكل مرافق دائم للدولة او للأفراد يوجه فيها العمل والسعي والانتاج وتحسين حالة الطبقات العمالية الفقيرة الى مناجع السلامة والكسب بهم موفورة واجور مغمورة بالسخاء . اذ اثبتت جميع الملابسات والمصطلحات

السياسية ان الامة التي تكون قوية بأقتصادياتها وافرة الانتاج واسعة التجارة تكون في نفس الوقت قوية بمركزها العالمي من كل الوجوه اسياسية كانت ام دولية تقدمية .

قيل ان الحاكم بأمر الله احد ملوك الفاطميين فى مصر الذي كان خبّاً عاتياً اركبه الشطط متن الغرور النفسي فاعلن الوهيته بين الناس وراح السذج منهم يسبحون بحمده ويسجدون والعياذبالله له كيفما حل وانجه . فصادف ان مشى ذات مرة بموكبه (الالهي) بأحد الشوارع فرأى فقيرين يستعطيان واحدهما ينادي صائحاً (يالهي) والثاني كان يكتفي بمديده بذل وانخفاض . فسولت له نفسه ان الاول ينادبه بقوله (يا الهي) ... فأمر احد الحجاب المرافقين له ان يأتي بدجاجة ويبقر بطنها بعد طهيها ويملؤها بالدنانير الذهبية ويعطيها الى المستعطي الذي ينادبه — اي الذي ينادي يا الهي — وبالفعل نفذ الامر خلال هنيهة قليلة . فلما اعطيت له بعد تفهيمه انها هبة من الملك تولته الدهشة وراح يقلبها بين يديه مستغرباً ان تكون هبة الملك متواضعة الى هذا الحد الضئيل . فأخذ الفقير الثاني يرمق زميله بعين ملؤها الانكسار مستغرباً كيف ان الملك الآله يحصر صدقاته بفئة من « عباده » دون سواهم ! ! ثم خاطب ذلك الزميل قائلاً هنيئاً لك على طعامك الدسم اليوم فأنه سوف يشبع بطنك ويفرح قلب عيالك . فأجابه هذا قائلاً وماذا عسانا نملىء من بطوننا الفارغة من هذه الضفضع ونحن نعد ٧ اشخاص كلهم جائع ومضنى فليتها كانت خروفاً فقال له زميله . اذن بعني اياها فأنا لست بذي عائلة وتكفيني لغذائي وعشائي وهاك ما احسن الىّ الناس به اليوم وماوفرت من الامس فأليكهم وهم يحصون عشرة فلوس واظنها تكفيك لابتياع الغذاء الرخيص الكثير لاطعام الاطفال وامهم . فوافقه الرجل على ذلك وسلمه الدجاجة بعد ان اخذ منه الفلوس العشرة وراح كل منهم فرحاً بما وصل اليه .

وعندما مزق صاحب الدجاجة الجديد بطنها ليباشر اكلها انهارت الدنانير من

بطنها بالمئات تبهر عينيه بلمعانها فوقف مدهوشاً مرتاعاً ، ولكنه علم على الفور سر العطية الملكية واسبابها فحمد الله على ما وصل اليه ثم شد رحاله وترك المدينة تحت سواد الليل حتى لا يلاحقه ملاحق وينزع منه هذا الكنز الذي ارصلته اليه محاسن الصدف والأقدار العجيبة التصرف .

ثم مرّ عهد ليس بقصير على هذه الحادثة ، واذا بالحاكم بأمر الله يمرّ ذات يوم من نفس المكان الذي يقف فيه الفقير «صاحب الدجاجة الاول» وسمعه الملك ينادي «يا الهي» كما كان يفعل من قبل . فاغتاظ وامر حاجبه ان يستدعي الرجل اليه . فلما مثل بين يديه قال له :

— ويحك الم نعطك ما يكفيك فما بالك تواصل الاستعطاء وقد اغنيناك فماذا صنعت بما وهبناك ؟ فأجابه الفقير وهو يرتعد فرقاً ووجلاً :

— لقد بعتها الى زميلي بدراهم معدودة لأنني وجدتها لا تكفيني وعيالي الكثر غائلة الجوع واشتريت بتلك الدريهمات ما اكتفينا بتناوله شاكرين حامدين لمولاي جوده واحسانه .

فتأثر الحاكم تأثراً عظيماً ثم خاطب الرجل قائلاً سوف نعوض عليك . فأليك بحصى تناولها من الارض واقذف بها بقدر ما تتسع لذلك قوتك وقد منحتك كل الحوانيت التي تقع بين المكان الذي تقف فيه الآن والموضع الذي تصل اليه الحصية . فتناولها ذلك البائس وراح يلوّح بها بكل ما اوتي من عزم ثم القاها كالقذيفة الجانحة فاذا بها تشط وتشرد فتصيب جداراً قريباً منه ثم ترتد اليه فتفج رأسه وتقضي عليه لساعته . وهنالك خرج رجل من بين الدهماء وخاطب الحاكم قائلاً :

(الله الله ايها المتأله الجبار ان العوادي اودت بهذا البائس الى الفقر فأردت ان تغنيه وها ان الله قد اماته فهل لك ان تحييه ؟؟)

قيل فما كان من الملك المتأله الا ان اطرق طويلاً الى الارض ثم اسرع في مشيه بعد ان امر ان لا يمس هذا الرجل الذي خاطبه بسوء

فالعظة اوالعبرة المستخرجة من هذه الفارصة التي طالعناها في (الكشكول) هو انه علق بجذوع الشجرة الأسلامية المباركة بعض الطفيلات الجاحدة الجاهلة كالحاكم بأمر الله مثلاً ففرضت على الناس الطغيان والفقر والعطالة والكفر واودت بهم الى التورط في مسالك العمه والضلال. فلو بذلت هذه الفئة القليل من العناية التي سبق لأسلافهم ان اسبغوها على رعاياهم لما رأيت في المسلمين عاطلاً ولا مارقاً حتي ولا فقيراً. فعلة العلل فينا ان الانتهازيين والانانيين من حكامنا جعلوا من اباطيلهم وهومهم السبب الاكبر في انحطاط المسلمين !!

اما الدين الاسلامي وتعاليمه السامية الرشيدة فأنها ما كانت ولن تكون الا اداة صالحة ومهذبة للمجموعة الأسلامية فتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتحض على طلب العلى والمجد والعلم والعمل وقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنـــة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن)

« ومن اوفي بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

* * * *

الوضع الاشتراكي والدموقراطي

في العالم اليوم

وكلمة الختام لهذا الكتاب سنضمنها استعراض الوضع الاشتراكي الاممي في العالم وما يقابله من عقيدة دموقراطية يأتلف حولها كثير من الدول الصغرى والكبرى حتى تجيء دراساتنا مستوفية لكل مامن شأنه ان يعطينا فكرة صحيحة عن الحالة السياسية والاجتماعية العامتين بين الامم اليوم .

فالاشتراكية بوجه عام تتراوح كما فصلنا ذلك سابقاً بين مفرطـــة ومعتدلة أو اصلاحية وثورية . وقد تواضعت الامم والدول على اقتسامها واتباع مناهجها على الوجه التالي :

انصار الاشتراكية الثورية :

فالدول التي تقول بالاشتراكية المفرطـــة اي الشيوعية هي « روسيا » و « بولونيا » و « رومانيا » و « اوقرانيـــا » و « البانيا » و « بلغاريا » و « يوغوسلافيا » و « المجر » و « تشكوسلوفيا » و « القسم الشمالي الغربي من بلاد الصين » و « تركستان » و « القسم الشمالي من كوريا » و « أرمينيا » .

والدول التي تعد نصف شيوعية هي « فنلانديا » و « فرنسا » و « ايطاليا » و « المانيا » (١) وبعض الجمهوريات اللاتينية الصغيرة في اميركا الجنوبية .

انصار الاشتراكية المعتدلة :

اما الدول التي تتمشى على مناهج الاشتراكية المعتدلة او الاصلاحيـة فهي « السويد » و « فرنسا » و « بلجيكا » و « البرتغال » و « النمسا » و « ايطاليا » و « انكلترة » وفي اميركا « الارجنتين » و (البرازيل) وثلاث او اربع جمهوريات اخرى فيها .

---

(١) الذي جعلنا نعد فرنسا وايطاليا والمانيا من الدول النصف شيوعية ثم نعود فندخلها في عداد الدول الدموقراطية هو وجود احزاب شيوعية ودموقراطية تتراوح قضيتا الاكثرية والاقلية فيها بين المد والجزر كلما نبـذ قرن الانتخابات في دبوعها .

انصار الاوضاع الدمقراطية ـ

هـذه هي وضعية معظم الدول الاوربية والاميركية اليوم من حيث المذاهب السياسية الاجتماعية . اما الاوضاع الدموقراطية بين الامم فانها تتوزع على الوجه التالي :

(انكلتره) دولة اشتراكية دموقراطية (الولايات المتحـــدة) جمهورية دموقراطية تمثل اسمى انواع الحكم الشوروي السليم من كل عيب اجتماعي وسياسي اما (النروج) و (الدنيمرك) و (هولانده) و (سويسره) و (توكيا) و (ايران) و (الافغان) و (الهند) و (الباكستـان) و (جنوب الصين) و (اليابان) و (المانيا الغربيـــة) و (اللكسمبورغ) و (المكسيك) ودول الدومنيون وهي (اوسترالیا) و (كندا) و (نيوزيلانده) و (جنوب افريقيا) و « سيام » و « بورما » و « الفلبين » و « الحبش » فأنهـا تمثل الحكم البرلماني المعتدل الذي يتمشى من الميول الشعبية الهادئة .

وضع الدول العربية ـ

اما الدول العربية وهي (سوريا) و (لبنان) و (العراق) و (فلسطين) و (شرقي الاردن) و (مصر) و (الدولة العربية السعودية) و (اليمن) فأنها تميل الى جعل لون اوضاعها السياسية الأممية دموقراطية الاتجاه . لأن هذا اللون باصطلاحه الافرنجي ينطبق على الروح الاسلامية الحقيقية والذي يمكننا ان نطلق عليها (روح الشورى) .

ومن البديهي ان بلادنا العربية سوف تكون قبلة انظار الدول الكبيرة اكثر مما هي الان. لان موقعها الستراتيجي من جهة وكنوزها الاقتصادية من جهة اخرى

سترغم هذه الدول للتسكع على ابوابنا طالبة مديد الصداقة والحلف اليها. وسيتخذ هذا التسكع شكل التسابق والتزاحم وتتناوله سياسة السخاء والتحبب وهذه البادرة واقعة لا محالة في يوم قريب ات ، وقد ظهرت طلائعهـــا منذ الآن في سياسة انكلترة الشرقية التي تصادف اقبالا كبيراً وانصاراً اقويـــاء في معظم البلدان العربية .

اجل لقد دلت الاوضاع السياسية الدولية التي تكلمنا عنها آنفاً ، ان هنالك براز حاداً بين الفريقين الدوليين الشيوعي والدموقراطي قد لا ينتهي غداً الا بحرب ضروس تقضي على البقية الباقية من هذا العالم. فيهمنا ان يكون موقفنا من هذا كله سالماً وقوياً ، وان نتوغل ونتعمق فى دراسة الموقف السياسي العام وتعيين الوجهة التي سنستهدف التضامن والتعاقد معها ، وان كنا نعرف من الآن وكما ذكرنا ذلك آنفاً بأنها سوف تكون بجانب الدول التي تنزع الى التمسك بالمبادىء الدموقراطية ، وهي المبادىء التي يدين بها العرب والأسلام منذ قالوا بلا...

هذا وقد رأينا من العرض الذي بسطناه آنفا للدول الاشتراكية والدموقراطية والشيوعية ان العالم ذاهب لا محالة الى الانتحاء لجانب «الاشتراكية الدموقراطية» يدلك على ذلك عدد العروش التي انهارت تحت تأثير الضغط الأشتراكي الدموقراطي وقيام النظام الجمهوري على انقاضها بحيث لم يبق من الدول الملكية الا خمس ما كان مسيطراً منها على الكرة الارضية . ومع ان معظم الدول الملكية الباقية تعتنق المبادىء الدموقراطية الا ان هنالك امراً واقعاً لا بد من ان يسيطر كاملاً غير منقوص على العالم ، وهو ان الروح الجمهورية بين الامم ستتغلب على كل الانماط الحكومية وتجعل لها لوناً واحداً ما خلا انكلتره على ما نرجح. لأن الملكية فيها ما هي في الحقيقة الا عبارة عن نموذج خاص لا يُقلد ولا يعتوره التبـدل والبلاء لانه عبارة عن لون ملكي ضمن جمهورية او جمهورية في نظام ملكي موشى بالروح الدموقراطية العريقة في قدمها . وقد نستثني بعض البـلاد العربيـة ايضاً ، لأن الروح الملكية السائدة في بعضها تستمد من روح الأسلام نفس النزعة الشورية

الشريفة التي تسود بقية الامصار الجمهورية ، كما ان هنالك فريقاً كبيراً من العرب اعتادوا على حب الامارة التي هي تراث ينحدر اليهم من خلق عريق في القدم وهكذا سوف يتساوى النظامان الجمهوري والملكي في بعض البلاد التي لاتنحرف عن المبادىء البرلمانية والميول الدموقراطية .

ومما لا ريب فيه انه سوف يصيب الاشتراكية الشيوعية رد فعل جائع مهدم تحت ضغط المقاومين لها وهم ٧٠ في المائة من سكان الكرة الارضية ينتهي بلا ريب بتحوير انظمتها الى الوان اشتراكية معتدلة ، لان التجارب الاقتصادية والادارية والسياسية التي مرت على الحكم البلشفي في روسيا اثبتت بأن الضغط الواقع على المؤسسات البورجوازية لتقويض النظام الرأسمالي قد انتهى الى اثبات انه لا بد للعالم من نظام متسامح تحفظ فيه حقوق الرأسماليين لتتم عمليات الحياة دورتها بأنتظام متسلسل يأخذ برقاب بعضه بعضاً . كما اثبتت هذه التجارب ايضاً انه لا بد من منح الفرد حرية التمتع بحقوقه الانسانية جميعها من مالية وثقافية واقتصادية وعائلية ودينية . وهذا كله تحدده اليوم المبادىء الشيوعية وتجعله رهناً لغير ارادة الافراد او بالاصح تجعله مقيداً في سلاسل حديدية بأنظمة ديكتاتورية جبارة تحتم على العائشين تحت تأثيرها المرهق ان يظلوا عمالا وبوساء . . .

فالشيء الذي يسمونه الآن (الثورة الشيوعية) سيصطدم قريباً بثورة اصلاحية امية تعدل في مناهج القائلين بتلك الروح المكبلة بسلاسل الاستعباد المرير وترفع فوق حصونها الجبارة راية التحرر لجميع الامم المستعبدة من ربقة الضغط الشيوعي وفي يقيننا أن هذا الانقلاب سوف لا يكون بعيداً ابداً لانه سيكون كنتيجة محتمة للتطورات الواقعية بين مبدأي النظريات والتجارب .

. . . .

وتلجؤنا الصراحة هنا ان نبدي اعجابنا بالروح الاشتراكية البريئة التي ابداها السيد محمد السراج نائب حماه والتي ايده فيها مجلس النواب بأجماعه فيما يتعلق بالقانون الذي وضعه لمعاونة العمال في شتى شؤونهم الحيوية . ولا ريب في ان

هذه النعرة الطيبة تنم عن الشروع بخطوات بريئة قوية الى مضافرة الفكرة الاسلامية القائلة بالترفيه عن العامل والفقير . ولا نشك بأنه سوف يتسع امام هؤلاء المصلحين المجال لوضع القواعد الرئيسية لهذه الخطوات المباركة التي اقترحنا فيما سبق معنا من بحوث اشتراكية عميقة ان تتكون وتنظم تحت اشراف دائرة خاصة :

يقول (سن غوست) العالم الاجتماعي الافرنسي :

(ان الفقراء هم القوة البارزة على سطح الكرة الارضية . فلنخاطبهم كأسياد ولنعاملهم برفق وتفقد وحنان ولنكن اشد نقمة على الفقر من الفقراء انفسهم لان الدولة لاتقوم الا على سواعد هؤلاء العمال الفقراء ، وانها لعمري لسواعد قوية وجبارة ...)

وقد برزت مؤخراً فكرة اجتماعية جديدة (١) في اوربا وبعض المحافل العلمية الاميركية تقول بالمزج بين النظريات الاجتماعية والسياسية كلها واستخراج بدعة اممية حديثة تشبه مثلاً لغة (الاسبرانتو) وذلك لاجل ازالة روح الخلاف والنزاع من بين افراد المجتمع البشري وكتله العديدة الغايات والاهداف . ومع علمنا بأنه سوف يكون نصيب هذه الفكرة الانسانية النبيلة الفشل كما اصاب لغة (الاسبرانتو) نفسها التي اريد بها ايضاً توحيد اللغات والثقافات بين الناس . ولكننا نتمنى بكل الاحوال ان يسود العالم الانساني بأية طريقة كانت السلام والامن، والهدوء والنظام . وان ترتفع من عقول النفعيين الهدامين والاستعماريين فكرة استعباد الخلق في سبيل جرّ المغانم لانفسهم ولبلادهم دون سواها ...

وتقوم هذه الفكرة الاجتماعية الجديدة على ثلاث نظريات :

الاولى - التحزب ضد الاحزاب او تقديس فكرة الاستقلال الذهني

(١) مجلة المختار النسخة الافرنسية عدد مارس سنة ٩٤٨

والاجتهادي والتتبعي ليظل مسيطراً على نفسه يديرها في السبل النافعة للمجتمع البشري ولأجل ذلك يجب تلقين النشء الجديد في كل مكان وقارّة مبدأ مكافحة الفكرة التعزبية مهما كان نوعها والتحري عن القواعد والوجهات العلمية المؤدية الى خير الجامعة البشرية عامة بدون تحيز لاية فكرة قومية سياسية او دينيـــة او اجتماعية .

الثانية – تعديل قوانين الانتخابات في جميع البلاد وتوحيدها بعـــد ذلك التعديل لتصبح حتماً ذات مفعول قاصر على منح الثقة لارباب الكفاآت العلمية والسياسية والاقتصادية .

الثالثة – ترتكز على قواعـد تقول بجواز قيام الحزبية داخل البرلمانات ولا تتعداها الى خارجه وخصصت هذا التحزب للشؤون العلمية والسياسية والاقتصادية المارة الذكر فقط ، ليتسنى ظهور الحقائق من وراء تطاحن الافكار وتعـــدد الاجتهادات والدراسات .

وعلى كل نرجو ان تتقدم الروح الانسانية الرحيمة وترسب خالدة في افئدة الناس على مختلف اهوائهم وفرقهم حتى تنفض طبقات البشر عن عواتقها كابوس البؤس والشقاء اللذين خيما بكوارثهما عليها منذ بدأت الحرب العالمية الاولى حتى انتهت الحرب الكونية الثانية ، تلك الكوارث التي مابرحت كل المجامع الانسانية تئن من عظيم وطأتها وفجيع نكباتها .

ويسعدنا الحظ ان نشير ايضاً قبل ختم ابحاثنا المسهبة في صدد الاشتراكية الى البادرة التي فاجأ بها المجلس النيابي السيد فيصـــل العسلي نائب الزبداني وهي النزعة الاشتراكية التي قذف بها بكل حماس وجرأة بين صفوف النواب معلناً انه اسس مع اخوانـــه ومريديه حزباً اشتراكياً يرمي الى بث روح التعاون والتضامن بين مختلف طبقات الأمة لرفع كابوس العوز والفاقة عن كاهل المثقلين

من جماعات العمال والكادحين في سبيل تكوين حياة هانئة لاتصل اليها يد البؤس ولا ينالها ضير وافدة القلة والغلاء .

اجل يسعدنا الحظ ان نشير الى الروح الفائرة الذكية التي باده الناس بها هذا الشاب النبيل والتي لم يتوخ من ورائها مكافحة الفقر والعوز فقط ، بل لمسنا بين طيات البرنامج الذي اعلنه في قاعة المجلس النيابي عن مرامي حزبه هذا ، انه يرمي في جملة ماتواضعت عليه اهدافه الانسانية الطيبة الى ايجاد سلسلة من التضافر بين الطبقات الرأسمالية والعمالية تنتهي الى ازالة معظم الفوارق التي تسربت من ورائها غوائل الضائقة الى فريق من الناس بينما يظل الفريق الآخر ينعم بالرفاه وملاذ الحياة . فكأنه يريد — وهذه هي الحقيقة التي تشغل بال المشتغلين اليوم بالشؤون الاجتماعية المتعلقة بالافراد والجماعات على مختلف نزعاتهم وثرواتهم — ان لايكون ثراء البعض سبباً في محنة الآخرين ، بل يتحتم على كل ذي يد طائلة ان يلتفت الى الترفيه عن العامل المكد حتى ينعم هذا ايضاً بما يكفيه شر المحن وترديد الشكوى من ضر يمسه .

فحزب السيد فيصل والحالة هذه يصطبغ بشعائر اشتراكية اسلامية شريفة القصد والغاية سبق وتكلمنا عنها في فصول هذا الكتاب بأسهاب كلي ، الأمر الذي نرحب به كل الترحيب لأننا نريد ان تسود تلك الروح الاشتراكية الطاهرة . الاشتراكية المتصوفة ، الاشتراكية الاسلامية طبقات المجتمع العربي وبالتالي المجتمع الانساني بأسره لأنها تضمن للأفراد والجماعات الحياة التي تسفر عن استقرار حيوي واجتماعي للمجموع بدون ان يرتفع صوت التبرم والشكوى من اي فريق كان من الناس .

يقول المستر (ترومن) رئيس الجمهورية الاميركية : (ليس المبدأ الشيوعي سوى عبارة عن عامل من عوامل الانتقاص من حقوق السواد الاعظم من الناس

(ويعني بها الطبقات العاملة) ليغدق على الأقليات (ويريد بها الطبقات ذات النفوذ السياسي والحزبي) وافر النعم ... فهو والحالة كذلك مبدأ تقهقري هدّام ، بعكس المبادىء الدموقراطية التي تسود فيها روح التضامن والتضافر وتبادل المنافع في رفق وتفاهم لا يبرحان متسلسلين في حلقات محكمة الاتصال على مدى الاحقاب) .

فنحن اذن والأفاضل الملمع اليهم وكل من يقول بالمبادىء الاشتراكية الاصيلة المعتدلة نتفق مع (تومن) الاميركي و (اتلي) الانكليزي في الاجتهاد الاجتماعي والاهداف الاشتراكية الدموقراطية ، واذا اردنا التوسع اكثر من ذلك يمكننا ان نقول ان مجموعة الاقوام العربية وبالتالي الأمم الاسلامية ترتبط كلها من حيث العقيدة الدينية بهذه المبادىء النبيلة ، والفرق الوحيد بيننا معاشر العرب والمسلمين وبين الامم الدموقراطية والاشتراكية انه ينقصنا بالنسبة الى اولئك قدرة التنظيم الذي يتمتعون به ، والذي لم يدخل بين صفوف طبقاتنا الاجتماعية على مختلف الوانها . وقد سبق ان تكلمنا عن وجوب ادخال هذا التنظيم الى مرافقنا الحزبية والحكومية فقلنا عندما تكلمنا عن الموارد التي اختص بها الأسلام الطبقات العاملة والفقيرة ما يلي نصه :

(يجب الالتفات الى هذه المعضلة الاجتماعية) وعنينا بها فقدان التنظيم ، وايقاظ الروح الأسلامية القديمة كما تفعل اوربا ومعالجتها بعد ادخال ما تقضي به العادات والظروف التجددية من تنظيم وتركيز وذلك بتخصيص دائرة حكومية خاصة بها ترتبط في مديرية الاوقاف مثلاً ويوضع لها من القوانين ما يحصن الموارد التي سبق واشاعها الأسلام كالزكاة والنفقات وسواهما مع ما تخصصه خزينة الدولة لهذه الغاية من هبات . ولا بأس من اشتراك نقابات العمال والأحزاب الاشتراكية في هذه التشكيلات الانسانية النافعة ...)

اذن نحن معاشر العرب والمسلمين مدعوون بأحزابنا ونقاباتنا وجمعياتنا حتى وحكوماتنا الى ادخال التنظيم على برامج اعمالنا فيما يختص بالتشريع الاجتماعي الذي يجب ان يعني بحيات الافراد وطبقات العمال ويضمن لها رغـــد العيش ومكافحة العوز .

ان الامة الانكليزية قد تنبهت مؤخراً الى هـذه الناحية وراحت حكومة (اتلي) وانصاره تولي قضية الترفيه عن العامل والعوائل الرقيقة الجانب كل اهتمامها ، ونظن اننا قد تكلمنا كفاية فيما سبق بكتابنا هـذا عن ذلك الاهتمام وما اعدت له وزارة المستر اتلي من انظمة وقوانين تكفل الرفاه الكامل للعوائل والافراد الذين يحتاجون الى التفقد والعطف والعناية فلا حاجة الى تكرارهـا هنا فلتراجع بدقة لتتخذ منها المناهج التي تكون خير قدوة نتقيد بها ونثبّت من ورائها دعائم الحياة الاجتماعية العامة في اقطارنا العربية على اقوم سبيل .

يستهدف الانكليز اليوم من وراء خططهم الانسانية الاشتراكية الى الحصول على النتائج الاجتماعية والسياسية التالية :

١ = جعل حيات الفرد غنية عن العوز والاستجداء.

٢ – الاكثار من المرافق والمؤسسات الصناعية لتكون منجماً لسعادة الفرد وينبوعاً لا ينضب لتأمين الموارد الضخمة لخزينة البلاد .

٣ – توسيع نطاق الأنتاج والتحليق في عالم التصدير وجلب الثروات للبلاد.

٤ – تأميم المؤسسات الصناعية الكبرى وجعلها ملكاً للحكومة لأجل تأمين جميع الاهداف الاشتراكية القوية التدعيم والتركيز .

ومن هنا نفهم ان البراز في نواحي المباديء الاجتماعية والاقتصادية بين انكلتره وروسيا قد اتخذ شكلاً طاحناً ، رمت انكلتره من ورائه الى اقامة سد فولاذي منيع في وجه التيار الشيوعي الذي حاولت روسيـا اكثر من مرة ادخاله الى البلاد البريطانية . لان الحكومة الانكليزية الواعية عرفت كيف تحطم هـذه

الموجة الطاغية على صخرة التنظيم الاشتراكي الرائع الوضع والاحكام فانقلب على اثر ذلك لون هذا التطاحن الى مغامرات سياسية واخذ الطرفان يعدان العدة للدخول في غمراتها التي لا نشك في ان موسكو ستكون المغلوبة المدحورة في المعارك التي سوف تنجم من ورائها ...

ولما كان كتابنا يتجنب بقـــدر الأمكان البحوث السياسية ويحصر كل مواضيعه في قضايا علمية واجتماعية بحتة وقفنا في امر هذا العراك المريـع عند هذا الحد .

وكل ما نرجوه قبل ان نختتم فصول هذا الكتاب ان نسمع في يوم قريب ان التشريع الاجتماعي والاقتصادي في البلاد العربية وبالتالي الشرقية قد دخـل في دور التقليد المحكم للمناهج الاشتراكية الانكليزية الصائبة ، لأن هذا التشريع هو وحده فقط يستطيع ان يوقف تيار الشيوعية عن الزحف الى بلاد الشرق ولا سيما المتوسط منه حيث تقطن الامم العربية والأسلامية .

وعندنا ان انكلتره نفسها بما لديها من وسائل يرجع معظمهـا الى الروابط الحبية التي تربطها بأمم الشرق الاسلامية – كما يعلم ذلك الخاص والعام – مدعوة الى القيام على تشجيع هذه الامم او الدول ومساعدتها على تثبيت دعائم انظمتها الاجتماعية والمالية على اسس ترفيهية مثمرة ، واذا اردنا ان نذهب الى ابعد من ذلك نستطيع ان نقول بأن هذا التشجيع قـد اخذ يجري مفعوله على ايد قادرة منحتها حكومـة لندره اوسع الصلاحيات لتجعل من بلاد العرب خاصـة حصناً يصون امصار الشرق الادنى من مغارم الشيوعية واهوالها .

اذ بدون هذه التدابير يظل الشرق مهدداً باكتساح الشيوعية له كما يقع الان في الصين وبورما وكوريا وسواها ويهدد قبل كل شيء مصالح الانـكليز انفسهم نعم لا يكفي ان يقال بأن الدين الاسلامي لا يهتضم المبادىء الشيوعية فان تيار

هذه المبادىء قوي الجريان وسريع التهديم ، وبالأحرى كثير العبث بالشرائع السماوية !!.

واننا لنجيز لأنفسنا ختاماً ان نقول ـ ولو كان ذلك القول يتخذ لوناً سياسياً ـ بأنه لا بد لنجاة الشرق وبالخاصة بلاد العرب من افات المفاجآت السياسية من ان تضع يدها بيد الدول الدموقراطية والتحالف معها على السراء والضراء لتتمكن هذه البلاد من الارتكاز على قوة جبارة تتضافر معها على دفع كل ما يهددها من او بئة اجتماعية او سياسية او اقتصادية .

وانما يشترط في هذا التحالف ان يكون بريئاً من كل غرض استعماري ، وان يصان فيه استقلال تلكم البلاد الشرقية استقلالا تاماً ناجزاً .

مسك الختام

كريم يتبرع بمليون ليرة بأسم الموآساة

برمكي القرن العشرين مصباح بك المخيش

هذا برمكي لم يسبقه في الكرم جوّاد، ولم يشق له حاتم الطائي نجاد وهو القائل:

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى ... فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذي قرابة ... غنانا ولا ازرى بأحسابنا الفقر

بذ (روكفلر) الملياردير الأميركي الشهير بعطائه وهباته ، ولم نسمع بجود يشبه جوده وسخاءه . تأدب بأدب الله حيث اتخذ من كتابه الكريم طريقاً مهيعاً فاستضاء بمصابيحه واقتدى بأمره القائل :

(ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً)

وقوله جل وعلا :

(ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

وقوله سبحانه وتعالى :

(من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

سمعنا بكرام منحوا القبضات السخية من اموالهم في سبيل عمل الخير والبر

ولكننا لم نسمع بمن وهب القناطير من الذهب او بما يكاد يحصي جميع ما يملك لأجل اسعاف بائس واغاثة فقير ومريض ، ولو لم يشفق على روحه لوهبها ايضاً بغير جذع على حد قول من قال :

واني امرؤ لاتستقر دراهمي . بكفي الا عابرات سبيل

هذا «مصباح بك المخيش» الذي علمّ بمأثرته الناس كيف يكون الكرم والعطاء ... لقد عرفت في بيروت هذا السري النبيل يوم كان عيناً تحف به الوجاهة النخبة ، وتاجراً مكرّماً لا يحفل بالأبهة والجاه، ويمد في السر يد النخوة والسخاء لمن اعوزته الفاقة اوفاق عليه العوز ويسوّي من امر المعسر حتى يدنيه من اليسر ، وهو لا يبتغي في كل ذلك الامرضاة الله وسجيته التي يمتري اطمئنانها وحسب .

هذا ملاك هبط من عالم ترفه ونعيمه الى منجع البؤساء والعجز والمقعدين فتفقد بلواءهم واستمع الى انينهم الموجع وما اظلهم من جراح سخينة فقام يرب منهم الثاي ويلم الشعث ويبدد البؤس والحال اللذين برموا بسخائمها ، فكان بعمله هذا خير اشتراكي غني – وفذّ بين الأغنياء من يتحلى بهذا المبداء الانساني النبيل – يقتدي به القادرون ، ولعمري فانت يا مصباح اشرف موسر مقتفي .

لو كان في هذه الأمة العربية الأسلامية بضعة مصابيح كـ(مصباحنا) الوضاء لما دبّ على ارض الجزيرة مثقل ولا بائس ، كما كان الحال على عهد الجدود في عصور امجادهم حيث كان الاستعطاء مذلة والضائقة ضالة يتحرى عنها المحسنون ليبددوا ضبابها القاتم وجرثومتها الملوثة .

نقول (لو) مع انه يوجد بين ظهراني هذه الأمة عدد كبير من اهل اليسار ، وبينهم من هم اغنى من مصباح بك المخيش ، فهل تسري في صدورهم روح هذا الجواد البار ويقتفون اثره الحميد حتى يكون فخر الأثر شراكة عادلة بين المحسنين ؟ فهنيئاً لمصباح عند الله ، وهنيئاً لأمة انجبت مثل هذا الاشتراكي الحقيقي الذي

ضرب بقسط وافر من العطاء راح في التاريخ مضرباً للأمثال وقد قال خير القائلين :

(ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ...) ؟

ايها المنزوي في مكان قصي (استنبول) ، ايها البعيد عن عيوننا والمقيم في قلوبنا ، كم اعرضت عن المراتب والألقاب ، والفخفخة والجاه ، ففضلت الزهد على الأمجاد ، والعطاء على البخل ، والأحسان على الأمساك . . لأنت والله اعظم من كل عظيم في سرائر النسك المتواضعة التي تتحلى بها وتجعل منك ميسم الصلحاء الأعفاء الأطهار .

ليت الزمان يجود بك الى قربنا كما جادت يمينك بأموالك على البائسين والفقراء ، لننعم بنور مصباحك الوهاج لعل في حلول ركابك بين اهلك واوطانك تتقد في افئدة صماء نار العدوى فيقتدي بك من يخجل من نفسه اذا رآك ماوآ بقربه ، وبذلك يتضاعف نفعك ، فتكون قد احسنت وحملت غيرك على الأحسان .

بارك الله في بطن حملك وجدّ انجبك واطال في عمرك واكثر من امثالك انه سميع الدعاء

قانون الزكاة

الاشتراكية قائمة في فؤاد كل مسلم تبث التعاليم القرآنية روحها في نفسه وميوله بثاً دامغاً لا تتبدل الوانه . وكل ماينقص هذه العاطفة الانسانية وجعلها ذات قدرة على ابراز مؤثراتها هو عدم وجود انظمة تصقل من تلك الألوان الشريفة وتجعلها ذات تأثير على البيئة التي يعيش فيها ذلك المؤمن الاشتراكي أفقيراً كان أم غنياً .

وهذا ما التفتت اليه مؤخراً مشيخة الأزهر وأرادت ان تجعل من هذه الفريضة مورداً كبيراً يجمع تحت تأثير وخضوع قانون تسنه الحكومة ويصادق عليه مجلس النواب ليصبح ذا مفعول راسخ ودائم . فيستفيد الفقير من مواده التي سوف يحصر مضمونها في بذل المعونة له ولأولاده . وهو يشبه من بعض نواحيه قانون الترقيه الأجتماعي الذى وضعته انكلتره للفقراء والعمال وأتينا فيما سبق على ذكره . وقد وقعت بين ايدينا نسخة من النظام الذي وضعته مشيخة الأزهر لعرضه على الوزارة لأجل ان تتبناه وتحيله الى مجلس النواب للمصادقة عليه ، وها نحن اولاء ننقل مواده هنا لعلها تلفت انظار الحكومة السورية لتعمل على الاقتداء بمصر في هذه الخطوة الاشتراكية والأنسانية الطيبة .

نص القانون

المادة الاولى ـ يفرض على كل مسلم ومسلمة ان يقوموا بأداء ما يتحتم عليهم من تلبية نداء الله وفريضته المحتمة المسماة (الزكاة).

المادة الثانية – يشترط في المزكي والمزكية أن يكونا من اهل اليسار وممن يشملهم النصاب المفروض لهذه الفريضة الربانية .

المادة الثالثة – تؤسس في وزارة الشؤون الاجتماعية دائرة خاصة للعناية في امر هذه الضريبة وتعيين جباة لها وضبطها في جداول منظمة اسوة بضرائب الدولة الاخرى .

المادة الرابعة – يعمل على ايجاد احصاء دقيق لفقراء البلاد والعوائل المعسرة وتوزع موارد هذه الفريضة على المجموع بحسب ما تستحق حالته المادية .

المادة الخامسة – لا يجوز ان يتناول من هذه الضريبة متوسطو الحال بارة الفرد .

المادة السادسة – يتناول جباة هذه الفريضة رواتبهم من خزينة الدولة ، كما يتناول موظفو الدائرة المعنية بهذه المصلحة رواتبهم ايضاً من مخصصات الوزارة لا من موارد الزكاة .

المادة السابعة – يُبدأ بجمع هذه الضريبة ابتداء من غرة رمضان في كل عام .

المادة الثامنة – يفرز قسم من موارد الضريبة المذكورة الأعمال الخارجة عن الصدقات كبناء التكايا والزوايا والدور التي تجمّل حالة الفقير وترفه من امور دنياه .

المادة التاسعة . – تعين مشيخة الأزهر نصاب الزكاة المفروض كل سنة في العشر الأخير من شعبان وتطلع وزارة الشؤون الأجتماعية عليه بكتاب مسجل .

المادة العاشرة . – تفرض عقوبات متنوعة على المتقاعسين ممن يعدوا من اهل اليسر والأستطاعة عن تأدية هذه الفريضة بأوقاتها المعينة . اما نوع هذه العقوبات فتكون بنشر اسماء اولئك المقصرين في الصحف للتشهير بهم . وكفى بهذا رادعاً لهم ولسواهم عن اقتراف جرم التقاعس في اداء هذه الفريضة .

هذه اهم المواد التي تضمنها قانون الزكاة الذي قلنا بأن مشيخة الأزهر تفكر

في وضعه وتكليف الحكومة في تبنيه وتنفيذه. وقد قدرت احدى الصحف المصرية مورد هذه الضريبة السنوي بثمانين الف جنيه. وقد يصل الى المائة الف اذا ما روعيت في جبايتها وضبطها وسائل الجد والأهتمام. ومعنى هذا في النتيجة ان الوف الفقراء سوف يستفيدون من هذا المورد المفروض فرضاً على اهل اليسار ليدفعوا عنهم غائلة الشقاء خلال الأشهر المقدسة والأعياد التي تعقبها. فللذين فكروا في ابراز هذه الفكرة الجليلة الى حيز الوجود خالص الشكر والثناء.

ومما فهمناه من صحف مصر ايضاً ان مشيخة الأزهر الرفيعة القدر تفكر ايضاً في القاء دروس ومحاضرات دينية متتابعة عن مساوىء الشيوعية والحض على التمسك بسنن الله والقواعد القدسية التي اشار اليها القرآن الكريم وحض المسلمين على اتباعها فيما يتعلق بأغاثة الملهوف والبائس واليتيم والمعدم. ومعنى هذا ان المشيخة المشار اليها ستكون داعية من حيث تدري او لاتدري على بث روح الاشتراكية الأسلامية بين صفوف المؤمنين نزولا على تعاليم الكتاب الكريم فمرحى ثم مرحى.

ان مصر كانت ولم تزل بلد الايمان الرصين ومنها تسري دائماً روح اليقظة والتجدد الى جميع المدن والأمصار الأسلامية. فاذا رأينا علماءها اليوم ينزعون الى بث فضيلة الأحسان على صعاليك المسلمين ولم شعثهم والترفيه عنهم وتعليم اولادهم وايواء عيالهم، فما مصدر ذلك الا الوعي الذي اخذ يعم جميع الطبقات في ارض الكنانة.

انه لوعي برع فيه حسن القصد، تقوده عقول جبارة ويوجهه ايمان عتيد وتصميم تشعر معه بأن كل حاسة وحركة واتجاه بدأ يأخذ مكانه في مرافق الحضارة التي احتضنتها الأمة المصرية اليقظة، وانك لتكاد تلمس نوازع التجدد في كل شيء تقع عليه ابصارك في ديار هذه الشقيقة العزيزة.

وكل ما نرجوه ان ننزع نحن ابناء سوريا ايضاً الى اقتباس الفضائل التي اخذت تنتشر في ربوع تلك الديار، وهي تكاد لا تعد لكثرتها. واذا قلنا

الفضائل فأننا نعني بهـا ما كان منها متمشياً مع روح العصر وعنصر الدين لنجمع بين المكرمتين ونمشي في طليعة الشعوب العربية بعد ان نستجمع كل المؤهلات التي تجعلنا امة متماسكة متراصة موحدة الغاية والهدف ، اجل يجب ان تمشي سوريا بجانب مصر وتتخذ كلتاهما صفة الموجه القادر على طرح قيادته الواعية على ابناء عمومته لتقودا هذه العناصر الذكية الى الاعتراف من مناهل المجد والتجدد ...

وما ضرنا انا قليـل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

العرب ونساء اميركا

اواليهود والشيوعية

هذا وقد سا قتنا المناسبة هنا الى الأتيان على ذكر حركة مباركة شاهدنا طلائعها بين بعض نساء اميركا اللواتي دفعهن مؤخراً الحماس والأنصاف الى الأخذ بناصر العرب في القضية الفلسطينية ، رأينا ان نشير اليها هنا لتعلقها بموضوع الشيوعية الذي اخذ ينتشر عن طريق اليهود في ربوع الشرق. فقد اذاعت الجمعية النسائية الحرة التي تترأسها في (بوسطن) عقيلة الطيار الاميركي المشهور (لندبرغ) المعروف بتزعمه لفريق الانعزاليين في اميركا الذين تتكون منهم الشركات والمؤسسات المالية الكبرى والذين لهم اليد الطولى في ادارة دفة السياسة الاميركية الخارجية فضلاً عن ان هذه السيدة هي كريمة احد المليونيريين العظام في اميركا. ولهذه الجمعية نفوذ سياسي واجتماعي في جميع الاقطار الاميركية نشرة ننقل نصها هنا بادىء ذي بدء ثم نعقب عليها بالتعليق الذي نعرف بان قراء هـذا

الكتاب سيشار كوننا في الاعجاب بكل كلمة فيها لأنها وحي الساعة الذي يخالج فؤاد كل عربي وها كم نصها :

« جاءت الهدنتان الملتان اقامهما الكونت برنادوت في فلسطين بنتائج سياسية سلبيـــة للعرب قلما اشارت اليها الصحف ، فاقتطف الذين اصطنعوها الثمار التي هـدفوا اليها . فرأينا عندما انكشف الغطاء ان هنالك دولا تعمل على تفكيك عرى الوحدة العربية وشاهدنا من ناحية اخرى ان هذه الدول ذاتها لم يرق لها ان تكتفي ببث دسائسها في صفوف العرب بل تعدت ذلك الى بذل كل معاونـــة وتأييد لليهود في السر والجهر . فمدتهم بالقوى الأدبية ، وهي الانتصار لهم في العالم الدولي وأجزلت لهم الهبات المادية التي يدخل في نطاقها المال والسلاح والرجال . وهكذا تمت المؤامرة في اسفل معانيها ضد العرب كما نلمس ذلك في الاتجاهات السياسية الدولية التالية » .

فانكلترا مثلاً ارادت من خلق تينك الهدنتين ان تتم رحيلها بسلام وبدون مشاكل ومخاطر عن فلسطين ، كما هدفت الى استمالة مصر وحملها على قبول مشروعها المتعلق بقضية السودان والجلاء عن وادي النيل اذ ذهبت الى الاعتقاد بان مصر لاتستطيع ان تتحمل عبء مشكلتين بوقت واحد . فهي لذلك سوف ترضخ لقبول وجهة نظر انكلترا بمسألة السودان حتى تتفرغ بكل قوتها الى قضيـة فلسطين . ووجد من قال بأن انكلترا ادخلت في مفاوضاتها التي اجرتها مع مصر لوناً من الوان المساومة ايضاً ، اي انها المحت الى ساسة مصر بأنها مستعدة لمضافرة الدولة المصرية وشقيقاتها الدول العربية في قضية فلسطين وتأييد وجهة نظر العرب فيها اذا ما نزلت البـــلاد العربية على تأيـــد اهدافها الستراتيجية ضد الشيوعية بالشرق الأوسط .

واما امريكا فقد رأت ان اليهود سوف يخسرون المعركة القائمـة في فلسطين

ورأي اليهود في نفس الوقت ان امريكا تهاونت في المرة الاخيرة في جلسات مجلس الامن بتأييد ترهاتهم ودعواهم الفارغة في البلاد الفلسطينية لاسيما وانهم قد اصبحوا على شفا جرف هار والمشاكل تهددهم بالبوار فتآمر الطرفان على ابتداع فكرة الهدنات وعمد « ترومان » الى الاتكاء على سياسة عجيبة هدف فيها الى مناصرة اليهود ومنابذة العرب مهما كلفه الأمر .

واما روسيا فلم تكن تخفي عليها مداورات الاميركان الرامية الى بذل الخير والمضافرة الكاملة الى اليهود فاختارت سياسة السكوت علماً منها بان العرب سوف يكشفون هذه الدسائس وفي حالة اكتشافهم لها قد يتاح للسياسة الروسية الاستفادة من الظروف المفاجئة وعندها تبدأ موسكو بلعب الدور الذي تتهيأ للعبه منذ زمن بعيد وهو اما النفوذ الى سواحل المتوسط وتكوين رقيبة جسر لها فيه ، واما حبك سياسة استمالية مع الدول العربية يكون من اثرها مناهضة نفوذ الدول الدموقراطية لأن كل خبير بالشؤون السياسية العالمية يعرف بان روسيا لم تؤيد اليهود حباً بهم ، وانما ترمي الى اغراض ثورية بعيدة الغور في الشرق العربي .

وعليه ففي اعتقادنا ان ما يجب على العرب ان يبرعوا في صنعه الآن هو :

اولا ـ يجب ان لا تروعهم الحرب مهما طال عهدها .

ثانياً ـ ويجب ان يحبطوا كل تدخل ممن يسول له شيطان المطامع مضافرة اليهود ضد العرب ويكون ذلك سبباً في انتشار الشيوعية في بلادهم .

ثالثاً ـ ولا يجب ان تتكرر حبائل المهادنات لانها لا ترمي الى خير ينتظره العرب

رابعاً ـ ويجب ان يعلم ان كل تدخل في مصلحة اليهود يعقبه تدخل لمصلحة العرب من دول شرقية حتى وغربية كثيرة لم تزل تؤيدهم وستظل تؤيدهم حتى ينتصر الحق على الباطل .

خامساً ـ ويجب ان يعرف ان مثل هذه التدخلات في جانب الطرفين ستجر وراءها حرباً كونية كبرى .

سادساً – ويجب ان يفهم بأن دول اوروبا وامريكا المويدة للفكرة الصهيونية ليست في وضع يساعدها على التدخل في القضية الفلسطينية عسكرياً لأن مشاكلها تجاه بعضها بعضاً عظيمة جداً كما يعلم ذلك كل مضطلع على الحالة الدولية اليوم.)

الى هنا انتهى المنشور الذي لفظه ضمير هذه الجمعية النسائية الامريكية الحي بين عشرات الملايين من الخليط الاميركي العجيب فيما يتعلق بقضية فلسطين ولكنها اختتمته بالانذار التالي الموجه الى رجال السياسة الاميركية قالت :

ايها الأميركيون :

(احذروا الانتهازيين والنفعيين من الرجال الذين يتولون شؤونكم السياسية . ان صداقة الذين علّموا اوروبا ومدّنوها ونعني بهم العرب لخير الف مرة من التزلف للذين آذوا المسيحية في الماضي بمخلّصها « العظيم » والذين يعملون في الحاضر على تهديم الكيان المالي والاجتماعي للشعوب الاوربية والأمركية ونعني بهم اليهود) انتهى .

هذا هو نص المنشور الذي اذاعته كرام العقائل الاميركيات وكل ما نريد ان نعلقه نحن معاشر العرب عليه هو الشكر الصميم قبل كل شيء لتلك السيدات النبيلات اللواتي تتكون هذه الجمعية الشريفة الاهداف منهن . ثم نعقب على ذلك بتطمين من يقلق على مصير العرب من الاصدقاء بان الامم العربية ماضية في جهادها معرضة عن دسائس الشيوعيين حتى تنال حقوقها كاملة غير منقوصة وشعارها الابيات التالية لتاج العلماء وفخر البلغاء سيدنا الامام علي رضي الله عنه بقوله

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصر
وانت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر
وتزعم انك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الاكبر
فلا حاجة لك من خارج ... وفكرك فيك وما تفكر

= تم =

فهرس الكتاب

رقم الصحيفة	الموضوع
٣	مقدمة الكتاب
٨	الفصل الأول (معنى الأشتراكية واهدافها وغاياتها)
١٠	المنشور الشيوعي
١٣	الباب الثاني من الفصل الاول (الشيوعي قرمط) وتعليقاتنا عليه
١٨	« الثالث « « نقد المبادىء الماركسيه
٣٦	الفصل الثاني الأشتراكية المعتدلة ويحتوي على اربعة ابواب تشتمل على الأشتراكيات الراديكالية والمسيحية والدموقراطية والنقابية .
٤٨	الفصل الثالث . الأشتراكية في الأسلام وفيه ثلاثة ابواب
٥٣	الباب الاول المبادىء الصوفية في المبداء الاشتراكي الأسلامي
٥٩	منشور شيخ الجامع الازهر حول الشيوعية
٦٠	الباب الثاني التطور الاشتراكي في الأسلام
٧٠	الباب الثالث شرح منابع التعاون الاشتراكي في التشريع الأسلامي كالزكاة وغنائم الحرب والتكايا والملاجيء والكفارات والخراج وصناديق الايتام
٨٣	الفصل الرابع
٨٩	الوضع الأشتراكي في العالم اليوم
٩٠	انصار الأشتراكية الثوريه
	« « المعتدلة
٩١	« الأوضاع الدموقراطية
٩١	وضع الدول العربية
١٠١	كريم يتبرع بمليون ليرة (مصباح بك المخيش)
١٠٤	قانون الزكاة
١٠٧	العرب ونساء اميركا او اليهود والشيوعية

335:M94iA:c.1
المدور ،طه
الاشتراكية في الاسلام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01020012

American University of Beirut

335
M94iA

General Library